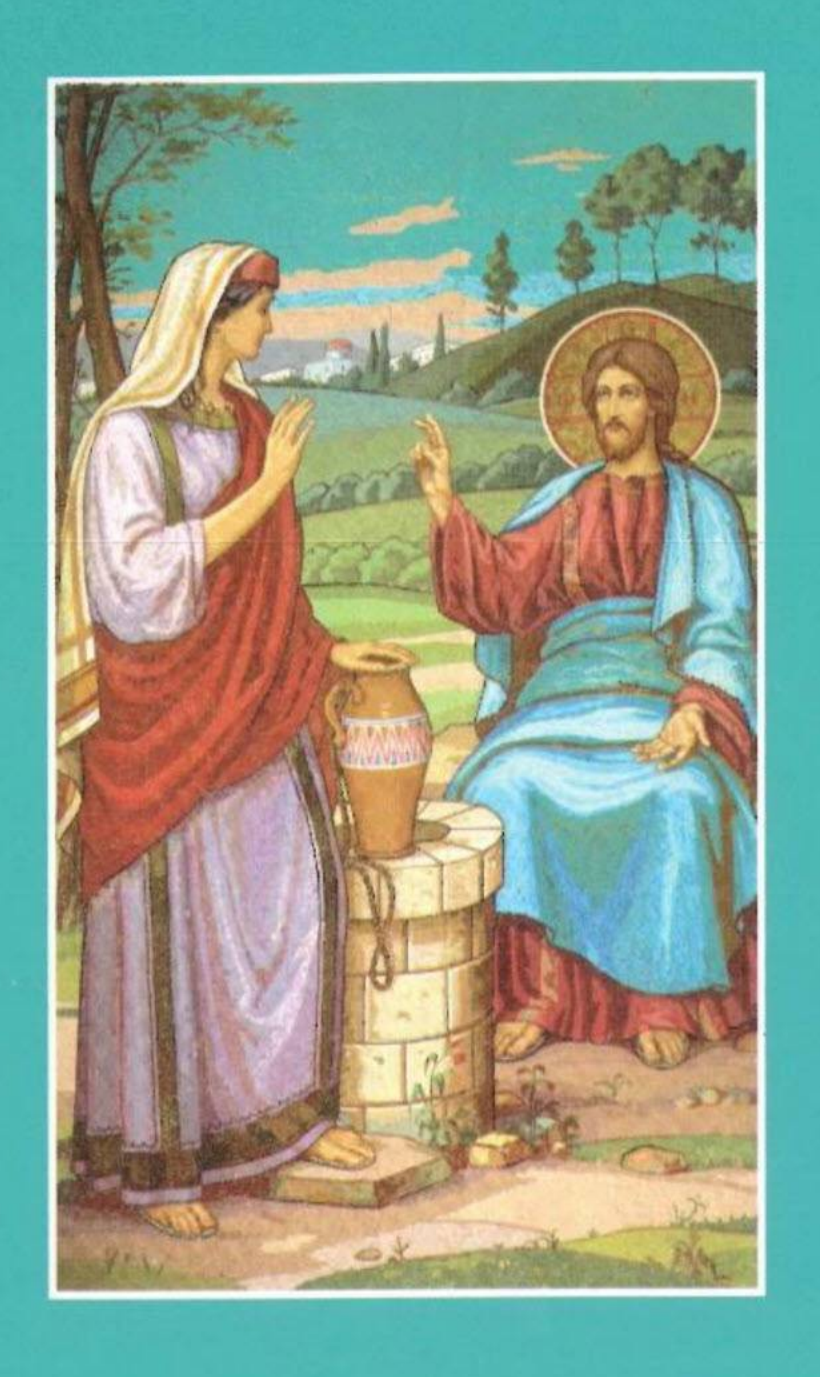






شخصيّات مجهولة في الأناجيل

لقاءات يسوع في الأناجيل الإزائيّة



دار المشرق - بيروت

شخصيّات مجهولة في الأناجيل



ڤيانّي بوبيه



شخصيّات مجهولة في الأناجيل

لقاءات يسوع في الأناجيل الإزائيّة

٤٦

نقلته إلى العربيَّة

نهاد فرح

دار المشرق - بيروت

سلسلة «**دراسات في الكتاب المقدّس**»
المدير: **المطران أنطوان أودو اليسوعيّ**

لا مانع من طبعه
بولس دحدح
النائب الرسوليّ للّاتين
جعيتا في ٦/ ٣/ ٢٠١٣

دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان
www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5453-6

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة ش.م.ل.**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: ٤٨٥٧٩٣ (٠١)
فاكس: ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢ (٠١)
Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
E-mail: libor@cyberia.net.lb

صدر هذا الكتاب بالفرنسيَّة تحت عنوان:

Les anonymes de l'Évangile
Rencontres de Jésus dans les évangiles synoptiques
par Vianney Bouyer
Service biblique catholique Évangile et vie
Editions du CERF, 8 rue Jean Bart, 75006 Paris

إفتتاحيّة

نُسمّيهم شخصيّات «**ثانويّة**»، «**بسيطة**»، «**هامشيّة**». إنّهم منتشرون بكثرة في النصوص الإنجيليّة، وغالبًا ما تكون مهمّتهم في الأدب الكلاسيكيّ أو الكتابيّ أن يشاركوا في العمل الذي تقوم به الشخصيّة الرئيسة أو في التغيّرات التي تطرأ على هذه الشخصيّة، أو أيضًا «رصد موقف البطل العاطفيّ الدراميّ[١]». وفي «الحياة التي عاشها يسوع» وهي الأناجيل، هناك أكثر من ذلك.

في بعض الأحيان يكون لهذه الشخصيّات اسم (برطيماوس، يائيرُس...). لكنّها في مُعظم الأحيان تظلّ بدون اسم. هل لأنّ الغالبيّة تمّ تهميشها - خاصّةً النساء - في مجتمع القرن الأوّل اليهوديّ أو الرومانيّ؟ فنحن نلاحظ أنّ برطيماوس لا يحمل اسمًا إلّا في إنجيل مرقس، وأنّ متّى يصف يائيرُس «**بأحدّ الوجهاء**». لمَ حجبُ الأسماء هذا؟ هل لتسليط الضوء على ما يشتركون به جميعًا، وهو الصفة الأساسيّة تلك التي تُعطي القارئ إمكانيّة أن يعيش، ثانيةً، لقاءَ يسوع؟

فسواء جاؤوا إليه، أو توجّه يسوع نحوهم، فإنّ اللقاء تمّ مرّةً واحدة (إذ لا نعود نراهم مرّةً أخرى، بعكس الرسل) وحدث فيه شيء فريد لهم أو لأقربائهم؛ شفاءٌ للجسد، غفران للخطايا، الاندماج ثانيةً في العائلة أو المجتمع. وفي هذا الحدَث هناك إدراك غالبًا ما يكون عابرًا، وأحيانًا غير كامل، لسرّ يسوع، «**ابن الله**»، «**مسيح** إسرائيل، «**نور الأمم**»... حينئذٍ لا يصبح شفاء العميان، على سبيل المثال، عملًا جانبيًّا، إذ يؤكّده الرواة لكي يجذبوا الانتباه إلى ردّ فعل يوحنّا المعمدان أو الرسل، بدءًا من بطرس ويعقوب ويوحنّا.

تلك هي الميزة التي يتمتّع بها هذا الملفّ الذي دوّنه فيانّي بوييه، والذي يدعو إلى

---

(١) Jean-Louis Ska, «Nos pères nous ont raconté, Analyse des récits de l'Ancien Testament», *C.E.* nº 155 (2011), p. 84, 87.

إعادة قراءة عدد من الأحداث الإنجيليّة، فيُظهر من خلالها الأهمّيّة الرئيسة لأشخاص غير رئيسيّين بغية التوصُّل إلى فهم رسالة يسوع ومعنى التلمَذة. وهكذا، فإنّ بقاء تلك الروايات غيرَ مكتملة يوضع بين يدي القارئ، بما أنّ الإنجيل لا يزال يُكتَب اليوم.

جيرار بيّون Gérard Billon

ڤيانّي بوييه (Vianney Bouyer)، كاهن في أبرشيّة أنجيه، أستاذ الكتابات المقدّسة في إكليركيّة الأبرشيّات المشتركة لأقاليم اللوار (نانت). من مقالاته «يسوع يلتقي بولس»، (La vie spirituelle n° 783, 2009)؛ «صديق الخطأة، إشارات الغفران في إنجيل لوقا» (Célébrer n° 381, 2011)؛ «بيت زكريّا، بيت الإيمان والوحدة» (La vie spirituelle n° 799, 2012). والدراسة التي نقدّمها نابعة من أطروحة غير مطبوعة قام بمناقشتها في العام ٢٠٠١ بالجامعة البابويّة الغريغوريّة (روما) تحت إشراف رولان مينيه (Roland Meynet) اليسوعيّ، بعنوان: **لقاءات يسوع الرعويّة في الأناجيل الإزائيّة. عندما يلتقي يسوع شخصيّات مجهولة الاسم** (*Les Rencontres pastorales de Jésus dans les évangiles synoptiques. Quand Jésus rencontre des anonymes*).

شخصيّات مجهولة في الإنجيل

لقاءات يسوع في الأناجيل الإزائيّة

يلتقي يسوع في الأناجيل كثيرًا من الأشخاص نجهل أسماءهم. فمَن هم هؤلاء الأشخاص؟ وكيف حدثت تلك اللقاءات؟ ما الذي تكشفه عن يسوع؟ إنّ دراسة مشهد صغير جدًّا وهو «فلس» الأرملة (مر ١٢: ٤١-٤٤) سيُعطينا مفاتيح للتفسير. وسيتمّ العمل على هذا المشهد في عمليّة إعادة قراءة عامّة للمراحل التي التقى فيها يسوع أشخاصًا متألّمين (مرضى أو ممسوسين) ولتلك التي يلتقي فيها أهاليَ حزانى. وهكذا فإنّ كلًّا من الأناجيل يتفرّد برسم صورة عن ذلك الشخص الذي في نظر الجميع هو «مسيح» الله، والذي يمتدّ عمله من اليهود إلى الوثنيّين، متجاوزًا كلّ فروقات السنّ والجنس والوضع الاجتماعيّ.

بقلم ڤيانّي بوييه

أشخاص مجهولون في الأناجيل

تُقدَّم إلينا الأناجيل وكأنّها سلسلة متتابعة من اللقاءات بيسوع: رواية دعوة التلاميذ، روايات المعجزات، أحاديث وجدالات يُثيرها في كلّ مرّة مُحاورون جُدد، وهي أكثر من ثلاثين حلقة تتجمّع حول الحدَث المفصليّ الأساسيّ في كلّ إنجيل. أشخاص كثيرون يظهرون ثمّ يختفون. فإذا استثنينا يسوع، وهو بطل القصّة، وكذلك الذين يرافقونه، ليس لدينا إلّا القليل من المعلومات حول غالبيّة أولئك الأشخاص. إنّنا نجهل مصيرهم وحتّى أسماءهم، لحسن حظّ الرواة وكُتّاب القصص الذين سيتخيّلون باقي الرواية ويملأون بذلك الفراغات.

فحتّى ولو التزمنا بالأناجيل، ليس عبثًا أن نتساءل حول معنى هذه اللقاءات: بمَن يلتقي يسوع؟ كيف؟ لماذا؟ لا شكّ في أنّ مواجهة هذه التساؤلات تعني الاستفسار عن خيارات سرد القصّة، وأخذ خصوصيّة الرواية وسياقها بعين الاعتبار. وهذا ما يمكننا أن نُسمّيه «مسار» الرواية. إنّ هذا المسار يخدم التوجّه اللاهوتيّ لنظرة معيّنة إلى المسيح، أسلوبه بالدخول في علاقة برجال ونساء يصادفهم على دربه، وليس لهم اسم في غالب الأحيان. وبحسب القراءات والتحاليل، فإنّ المسألة هي تجميع ثلاث خبرات مترابطة، تُنير بعضها بعضًا، وتتداخل أحيانًا بعضها ببعض:

- النواة الصلبة التي يتعذّر تبسيطها أو إدراكها، لخبرة اللقاء بيسوع التاريخ، رجُل اللقاء.
- خبرة الجماعات الأولى التي حفظت ذكرى يسوع وتشكّلت من لقاء إلى لقاء، لتُعلن المسيح (رسل ٢: ٤٧؛ ٩: ٣١).
- خبرتنا الشخصيّة والجماعيّة نحن القُرّاء، المتأثّرة بلقاءات بأشخاص نجهل أسماءَهم ولكنّهم أثّروا في تاريخ وجودنا.

لا يمكننا بالتّأكيد معالجة مُجمل الأناجيل في إطار هذا الملفّ. لذا توجّب القيام بعددٍ من الخيارات:

١- سنحصر عملنا بالأناجيل

الإزائيّة. فدراسة إنجيل يوحنّا ستقودنا إلى ميادين أخرى، لأنّ روايات هذه اللقاءات أطول وأشدّ تعقيدًا. يكفينا أن نذكر هنا حدَث شفاء الأعمى منذ مولده (يو ٩) الذي يحدث في مشاهد صغيرة ومتعدّدة يتمّ بعضها في غياب يسوع.

٢- لقد اقتصرنا في الأناجيل الإزائيّة على ما اتُّفِقَ على تسميته «رسالة يسوع»، منذ مولده حتّى دخوله أورشليم، ومن ضمنها تبشيره في الهيكل.

٣- من بين الأحداث الكثيرة فضّلنا ما يلي:

- لقاء يسوع والأرملة في الهيكل (مر ١٢: ٤١-٤٤) وقد بدا لنا مدخلًا جيّدًا للموضوع، بما أنّ الشخصيّة مجهولة الاسم واللقاء سريع (هل كان لقاءً بالفعل؟). إنّ قراءة هذه القصّة ستقدّم بعض المفاتيح لما سيلي في هذه الدراسة.
- وتفرض دراسة لقاءات يسوع وأشخاصٍ متألّمين (مرضى أو ممسوسين) نفسها نظرًا إلى أهمّيّتها في روايات الأناجيل.
- فئة اللقاءات بالأهل الذين يتوسّلون من أجل أولادهم تستحقّ أن نُفرِد لها بحثًا خاصًّا، لا لعمق المشاعر التي تنبع منها وحسب، بل لنوعيّة اللاهوت الذي طوّره كلّ إنجيليّ.

١ - أرملة في الهيكل

في إنجيل مرقس، الحدَث الذي يلتقي فيه يسوع بأرملة داخل هيكل أورشليم مُدهش في أكثر من ناحية. فهو بالفعل إحدى الروايات (التي قد تكون الوحيدة) حيث لا نجِد أيّ اتّصالٍ مباشر لإحدى الشخصيّات بيسوع: لا كلمات متبادلة، ولا أيّ حركة من جهة. من جهة أخرى، هناك لحظة مصيريّة في حبكة الرواية: بعد أن واجه يسوع خصومًا من الفئات الممكنة كافّة (مر ١١: ٢٧-١٢: ٣٧)، يخرج من الهيكل بشكلٍ نهائيّ ويُعلن عن خرابه (مر ١٣: ١-٣)، ليسير متوجّهًا إلى آلامه. بعد أن ننتهي من دراستنا روايةَ مرقس، سنعود فننظر إلى هذه الرواية بحسب لوقا.

مرقس ١٢: ٣٧ب - ١٣: ١

[٣٧] وكان جمعٌ كثير من الناس يُصغون إليه بسرور. [٣٨] وكان يقول في تعليمه: «**إيّاكم** والكتبة، فإنّهم يحبّون المشي بالجبب، والتحيّات في الساحات، [٣٩] وصدور المجالس في المجامع، والمقاعد الأولى في المآدب. [٤٠] يأكلون بيوت **الأرامل**، وهم يُظهِرون أنّهم يُطيلون الصلاة. هؤلاء سينالهم العقاب الأشدّ». [٤١] وجلس قبالة الخزانة **يراقب** كيف يُلقي الجمع نقودًا في الخزانة. فألقى كثير من الأغنياء شيئًا كثيرًا. [٤٢] وجاءت **أرملة** فقيرة فألقت عُشرَين، أي فِلسًا. [٤٣] فدعا تلاميذه وقال لهم: «الحقّ أقول لكم إنّ هذه **الأرملة** الفقيرة ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة. [٤٤] لأنّهم كلّهم ألقوا من الفاضل عن حاجتهم، وأمّا هي فمن حاجتها ألقت جميع ما تملُك، كلّ رزقها».

١٣ وبينما هو خارجٌ من الهيكل قال له أحدُ تلاميذه: «يا مُعلّم انظُر! يا لها من حجارة! ويا لها من أبنية!» فقال له يسوع: «**أترى** هذه الأبنية العظيمة؟ لن يُترَك هنا حجَرُ على حجَر من غير أن يُنقَض».

رواية مرقس ١٢: ٣٧-١٣: ١

سياق الرواية

إنّ المشهد الصغير هذا هو رواية انتقاليّة تسمح لنا بالعبور من مجموعة الجدالات الدائرة في الهيكل (مر ١١:

٢٧-١٢ : ٤٠) إلى الخطاب المطوّل حول نهاية الأزمنة التي افتتحها خرابُ الهيكل (مر ١٣). ويدعونا هذا إلى أن نكون منتبهين لسياق النصّ الأدبيّ (راجع النصّ ضمن الإطار).

إنّ التلميح إلى تصرُّف الكتبة تجاه الأرامل ساعد على دخول الأرملة الفقيرة هذه في المشهد. لنلاحظ مباشرةً أنّ كلمة «**أرملة**» لا تظهر إلّا هنا في مرقس (آية ٤٠ و٤١)، وهي تسمح بربط القصّتَيْن إحداهما بالأخرى.

إنّ حادثة الخروج من الهيكل (١٣ : ١-٢) تُبرز المشهد الذي سبق، لأنّ التلميذ الذي يحدّث المعلّم عن جمال حجارة الهيكل هو بدون شكّ من بين المجموعة التي كان يسوع يُفسّر لها معنى هذه الحركةِ غير الملحوظة وقد قامت بها تلك التي ألقت بكلّ ما تملكه لمعيشتها. فيسوع لا ينظر إلى الحقائق التي ينظر تلاميذه إليها... وسيصبح الفارق منذ الآن ظاهرًا ومتكرّرًا عند مرقس.

يجب إذًا وضع شخصيّة الأرملة في موقعه ضمن سياق رواية مرقس، حيث يبدو باستمرار أنّ هناك تقليلًا من شأن المقرّبين من يسوع لصالح أشخاص ثانويّين، لا يظهرون غالبًا إلّا مرّة واحدة. ويشتدُّ هذا المسار حدّةً بمقدار اقتراب يسوع من آلامه، إلى أن نصل إلى هرب التلاميذ (١٤ : ٥٠). عندئذٍ تصبح الشخصيّات الثانويّة هي البديل: المرأة التي سكبت الطيب على رأس يسوع (١٤ : ٣-٩)، سمعان القيرينيّ (١٥ : ٢١)، قائد المئة الواقف تحت الصليب (١٥ : ٣٩).

إنّ موضوع النظر (النصّ ضمن الإطار في الأسفل) يمكن أن يكون الخيط الذي يقودنا إلى مداخلات يسوع الثلاث داخل الهيكل وخارجه: دعوة للنظر إلى تصرُّف الكتبة بعيدًا عن المظاهر الخارجيّة (١٢ : ٣٧ب - ٤٠)، نظرة يسوع إلى الأرملة (١٢ : ٤١-٤٤)، نظرة التلميذ إلى الهيكل (١٣ : ١-٢). في كلّ مرّة يهبُ يسوع معنى لما يُرى. فمشهد الأرملة القصير في الهيكل يمكن أن نفصله بسهولة إلى مشهد بمصراعين: ما يراه يسوع (٤١-٤٢) وما يُفسّره لتلاميذه (٤٣-٤٤). والقارئ يُدرك من يسوع معنى الرواية.

مرقس، إنجيليّ النظرات

للدخول بالعمق في إنجيل مرقس، يستطيع القارئ أن يكتفي بالانتباه إلى نظرات يسوع المختلفة، من النظرة الأولى (في المعموديّة، «**ورأى السموات تنشقّ**»

١ : ١٠) حتّى النظرة الأخيرة (وهو ينظر إلى الجمع أمام الخزانة ١٢ : ٤١). يسوع «يرى» (الفعل Oraô يتكرّر خمس عشرة مرّة والفاعل هو يسوع). يسوع «**ينظر**» (الفعل Blepô، يتكرّر ستّ مرّات). يسوع «**يعاين**» الضجيج في دار يائيرُس (٥ : ٣٨)، والشعب عند خزانة الهيكل (١٢ : ٤١). يتوجّه يسوع بنظره إلى الأشياء (١١ : ١٣)، وإلى الأوضاع (٩: ٢٥ - ١٠ : ١٤)، وخاصّةً إلى الأشخاص.

- سمعان وأندراوس (١ : ٦)، يعقوب ويوحنّا (١ : ١٩)، لاوي (٢: ١٤) قبل أن يدعوه.
- المرأة التي انتزعت منه الشفاء (٥ : ٣٢).
- الشابّ الغنيّ (١٠ : ٢٣).
- تلاميذه عندما كانوا يصارعون الريح في البحر (٦ : ٤٨)؛ وعندما أجاب بطرس الذي أراده أن يحيد عن طريق الصليب (٨: ٣٣).
- الجموع: «**أخذته الشفقة**»، فأخذ يعلّمهم ويطعمهم (٦ : ٣٤)؛ وفي وقتٍ لاحق، إلى الكتبة، عند آخر معجزة كبرى وهي طرد الشيطان من صبيّ (٩: ١٤).

هذه النظرة تلحظ الاستعدادات الداخليّة: إيمان الّذين حملوا إليه المُقعَد (٢ : ٥)، رياء خصومه (١٢ : ١٥)، فطنة الكاتب الذي تجادل وإيّاه في الهيكل (١٢ : ٣٤). وأخيرًا، لنتنبه إلى خصوصيّة مسيح مرقس وهي أنه يُجيل نظره (فعل Péribélpô): في خصومه بالهيكل (٣: ٥)، في الّذين يعملون بمشيئة الله (٣: ٣٤)، بحثًا عن المرأة التي شُفيت من نزف الدم (٥: ٣٢). وهي النظرة ذاتها التي رافقت دخوله الهيكل لأوّل مرّة (١١: ١١). إنّ المقطع الذي نعرفه جيّدًا وهو لقاؤه بالشابّ الغنيّ يمكن تلخيصه في ثلاث نظرات:

- يسوع يحدّق في الرجل الذي أتى للقائه (١٠ : ٢١)، نظرة تمهّد للفعل «**أحبّه**».
- فأجال يسوع طرفه في التلاميذ عندما انصرف الرجل (١٠ : ٢٣).
- ويحدّق يسوع مرّةً أخرى بالتلاميذ الذين يسألون «**مَن يقدر أن يخلُص؟**» (١٠ : ٢٧).

شخصيّة يسوع

تلخّصت زيارة يسوع الأولى إلى الهيكل بنظرة: «**ودخَلَ أُورَشَليمَ فالهَيكَل، وأَجالَ طَرْفَه في كُلِّ شَيءٍ فيه وخرج...**» (١١: ١١). هنا، حين خرج يسوع من الهيكل كي لا يعود إليه ثانيةً، يذكر مرقس نظرةً أخيرة إلى الجمع الذي يمرّ أمام صناديق الهيكل. يسوع، مُفسّر ذو سلطان، يُعلِّم (١٢ : ٣٥-٣٨؛ ١٣ : ١) ويرى ما هو أبعد من المظاهر الخارجيّة: الكتبة الذين يُظهرون الشفقة

خارجيًّا، «**يأكلون**» بيوت الأرامل. والأرملة الفقيرة التي بالفلس الذي ألقته وضعت أكثر من جميع الأغنياء، والهيكل بأبنيته العظيمة الذي سيؤول إلى الخراب. ففي وسط هذه التعاليم، تنال الكلمات التي تخصّ الأرملة أهمّيّة خاصّة:

- يسوع جالس كما عندما يُعطي تعليمًا مهمًّا (مر ٤ : ١؛ ٩ : ٣٥؛ ١٣ : ٣).
- إنّه «**يدعو**» تلاميذه، (الفعل المستخدم هنا Proskaleîn) يتكرّر تسع مرّات في مرقس، يسوع هو الفاعل في ثماني مرّات، وفي خمس مرّات التلاميذ هم المفعول به (٣: ١٣؛ ٦ : ٧؛ ٨: ١-٣٤؛ ١٠ : ٤٢)، والمرّة الأخيرة التي يدعو فيها يسوع تلاميذه، كانت للإجابة عن استيائهم من ادّعاءات ابني زبدى (١٠ : ٤٢).

يبدأ يسوع كلامه بمدخل شائعٍ فيه عبارة رسميّة: «**الحقّ أقول لكم**...».

ومع ذلك يجب معالجة التصريح الذي يخصّ الأرملة على حِدة: فهو لا يُعلَنُ بصيغة المستقبل (كما في ١٠ : ١٥)، ولا يحوي أيّ إقرار أو تنبّؤ بالمستقبل (كما في الروايات التي تسبق موت يسوع: ١٤ : ٩، ١٨، ٢٥، ٣٠). الموضوع هو تثبيت أمرٍ واقع يُعلَن بصيغة المقارنة. فيعيد يسوع ما رآه: «**ألقى كثير من الأغنياء، شيئًا كثيرًا**» (آية ٤٠)، وشخصًا واحدًا «**ألقى عُشرَين، أي فلسًا**» (آية ٤٢). في نظر يسوع، المعادلة معكوسة تناسبيًّا، لأنّ الأرملة ألقت أكثر من الجميع. إنّه يحدّد: «**كلّهم ألقوا من الفاضل عن حاجتهم**» في حين أنّها «**من حاجتها ألقت**» (آية ٤٤). وتعارض المقارنة بين الأرملة والأغنياء. اليُسر مقابل الحاجة ومن هنا يأتي العطاء. ويوضّح في النهاية أنّ هذا العطاء هو «**كلّ ما تملكه** (الأرملة)، **كلّ رزقها**». كان بإمكان يسوع أن يحثَّ تلاميذه على أن يعملوا مثلها، لكنّه لم يفعل.

شخصيّة الأرملة

إنّها الأرملة الوحيدة في إنجيل مرقس، وهي أيضًا آخر شخصيّة «**يلتقيها**» يسوع قبل خروجه من الهيكل.

بسيطة ومعقّدة. إنّ الصفة «**فقيرة**» تأتي مرّتين لتصف هذه الشخصيّة. كيف عرف يسوع أنّها أرملة وأنّها فقيرة؟ لا تقول الرواية شيئًا عن هذا. والعجيب أنّ استعمال صفة الفقر (Ptôkos/pôtché) نادر نسبيًّا في كتابات مرقس (ستّ مرّات): نجدها في رواية الشابّ الغنيّ (مر ١٠ : ٢١ «**أعطِهِ للفقراء**»)، وكذلك الفعل Husterein (النقص)، «**تنقصكَ واحدة**» (١٠ : ٢١)، «**من حاجتها، ممّا**

ينقصها، ألقت» (١٢: ٤٤). لعلّ هناك صلة بين هذَيْن المشهدَيْن كما سنرى لاحقًا.

وفي الواقع، يُختصَر دور الأرملة بحركة صامتة عاديّة جدًّا: «**وضعت**»، «**ألقت**» (آية ٤٢، ٤٣، ٤٤). وقيمة الهبة الزهيدة التي تميّزها عن باقي الجمع من الأغنياء تنال معناها عندما يرى يسوع فيها كلّ ما تملكه لمعيشتها وأنّها أكثر من كلّ ما وهبه الآخرون.

ويجب أيضًا تأكيد أمرين آخرين متناقضين: أوّلًا ما يسبق هذا النصّ؛ ففي حين يسعى الكتبة بوضوحٍ وراء تكريم الآخرين إيّاهم ويأكلون بيوت الأرامل، ها هي أرملة تُلقي كلّ مالها بخفية. ثمّ ما يليه، ففي حين يُبدي أحد التلاميذ إعجابه بعظمة الهيكل، ينتبه يسوع إلى أرملة «**فقيرة**».

لنلاحظ أخيرًا، من ناحية، عدم وجود أيّ حوار أو مونولوج داخليّ (٥: ٢٨

شخصيّة ثانويّة

هذه بعض الملاحظات المستخرجة من التحليل الروائيّ كما عرضها جان لويس سكا في كتابه **ما رواه لنا آباؤنا**، تحليل لروايات العهد القديم Analyses des récits de l'Ancien Testament (C.E. nº 155, 2011).

إنّ مشهد الهيكل يحقّق المبدأ الذي يقول: «إنّ هيمنة العمل وقلّة الاهتمام بالتطوّرات النفسيّة هما عاملان من العوامل الرئيسة لفنّ الرواية الكتابيّة» (ص٨١). وهنا نجهل دوافع تصرُّف الأرملة. الأرملة هي إحدى الشخصيّات «المسطّحة» لا «الدائريّة»: «شخصيّات كهذه تدخل بطريقة خاطفة ولا نعرف الكثير عنها. وغالبًا ما تُختصر شخصيّتهم في سِمةٍ من السمات» (ص٨٢): وسِمة الأرملة تكمن في الهبة التي أعطتها. يدعونا ج. ل. سكا إلى أن نصنّف الشخصيّات بحسب عقدة الرواية: **بطل، صلاح** (أو **طلاح**)، **فوائد أو عوامل** (مجرّد أدوات لخدمة العقدة)، **وشخصيّات مكمّلة للديكور** (جموع، ممثّلين، جوقة...). في أيٍّ من هذه الأدوار يمكننا وضع الأرملة؟ إنّها ليست بطلة إنجيل مرقس، ولكنّها كذلك في هذا المشهد، ويسوع هو الذي يمنحها هذا الدور. ومن جهةٍ أخرى، جعلَ تصرّفها «**صلاحًا**» بالنسبة إلى يسوع: فهي تنخرط في مضمار القيم نفسه (فقد أدان لتوّه الكتبة الّذين يعملون كي يراهم الناس، في حين أنّها، على مثاله، تقدّم ذاتها). ويمكننا أن نعتبرها أيضًا عاملًا من عوامل الرواية، لأنّ تصرّفها أنهى إقامة يسوع في الهيكل، وصار مقدّمةً للخطاب حول نهاية الأزمنة. ويمكننا أن نرى هذا المقطع أيضًا إعلانًا (Prolepse) عن موت يسوع، لأنّه قدَّم هو أيضًا كلّ ما له.

خارجيًّا، «**يأكلون**» بيوت الأرامل. والأرملة الفقيرة التي بالفلس الذي ألقته وضعت أكثر من جميع الأغنياء، والهيكل بأبنيته العظيمة الذي سيؤول إلى الخراب. ففي وسط هذه التعاليم، تنال الكلمات التي تخصّ الأرملة أهمّيّة خاصّة:

- يسوع جالس كما عندما يُعطي تعليمًا مهمًّا (مر ٤ : ١؛ ٩ : ٣٥؛ ١٣ : ٣).
- إنّه «**يدعو**» تلاميذه، (الفعل المستخدم هنا Proskaleîn) يتكرّر تسع مرّات في مرقس، يسوع هو الفاعل في ثماني مرّات، وفي خمس مرّات التلاميذ هم المفعول به (٣: ١٣؛ ٦ : ٧؛ ٨ : ١-٣٤؛ ١٠ : ٤٢)، والمرّة الأخيرة التي يدعو فيها يسوع تلاميذه، كانت للإجابة عن استيائهم من ادّعاءات ابني زبدى (١٠: ٤٢).

يبدأ يسوع كلامه بمدخل شائعٍ فيه عبارة رسميّة: «**الحقّ أقول لكم...**».

ومع ذلك يجب معالجة التصريح الذي يخصّ الأرملة على حِدة: فهو لا يُعلَنُ بصيغة المستقبل (كما في ١٠ : ١٥)، ولا يحوي أيّ إقرار أو تنبّؤ بالمستقبل (كما في الروايات التي تسبق موت يسوع: ١٤ : ٩، ١٨، ٢٥، ٣٠). الموضوع هو تثبيت أمرٍ واقع يُعلَن بصيغة المقارنة. فيعيد يسوع ما رآه: «**ألقى كثير من الأغنياء، شيئًا كثيرًا**» (آية ٤٠)، وشخصًا واحدًا «**ألقى عُشرَين، أي فلسًا**» (آية ٤٢). في نظر يسوع، المعادلة معكوسة تناسبيًّا، لأنّ الأرملة ألقت أكثر من الجميع. إنّه يحدّد: «**كلّهم ألقوا من الفاضل عن حاجتهم**» في حين أنّها «**من حاجتها ألقت**» (آية ٤٤). وتعارض المقارنة بين الأرملة والأغنياء. اليُسر مقابل الحاجة ومن هنا يأتي العطاء. ويوضّح في النهاية أنّ هذا العطاء هو «**كلّ ما تملكه** (الأرملة)، **كلّ رزقها**». كان بإمكان يسوع أن يحثَّ تلاميذه على أن يعملوا مثلها، لكنّه لم يفعل.

شخصيّة الأرملة

إنّها الأرملة الوحيدة في إنجيل مرقس، وهي أيضًا آخر شخصيّة «**يلتقيها**» يسوع قبل خروجه من الهيكل.

بسيطة ومعقّدة. إنّ الصفة «**فقيرة**» تأتي مرّتين لتصف هذه الشخصيّة. كيف عرف يسوع أنّها أرملة وأنّها فقيرة؟ لا تقول الرواية شيئًا عن هذا. والعجيب أنّ استعمال صفة الفقر (Ptôkos/pôtché) نادر نسبيًّا في كتابات مرقس (ستّ مرّات): نجدها في رواية الشابّ الغنيّ (مر ١٠ : ٢١ «**أعطِهِ للفقراء**»)، وكذلك الفعل Husterein (النقص)، «**تنقصكَ واحدة**» (١٠ : ٢١)، «**من حاجتها، ممّا**

ينقصها، ألقت» (١٢: ٤٤). لعلّ هناك صلة بين هذَيْن المشهدَيْن كما سنرى لاحقًا.

وفي الواقع، يُختصَر دور الأرملة بحركة صامتة عاديّة جدًّا: «**وضعت**»، «**ألقت**» (آية ٤٢، ٤٣، ٤٤). وقيمة الهبة الزهيدة التي تميّزها عن باقي الجمع من الأغنياء تنال معناها عندما يرى يسوع فيها كلّ ما تملكه لمعيشتها وأنّها أكثر من كلّ ما وهبه الآخرون.

ويجب أيضًا تأكيد أمرين آخرين متناقضين: أوّلًا ما يسبق هذا النصّ؛ ففي حين يسعى الكتبة بوضوحٍ وراء تكريم الآخرين إيّاهم ويأكلونَ بيوت الأرامل، ها هي أرملة تُلقي كلّ مالها بخفية. ثمّ ما يليه، ففي حين يُبدي أحد التلاميذ إعجابه بعظمة الهيكل، ينتبه يسوع إلى أرملة «**فقيرة**».

لنلاحظ أخيرًا، من ناحية، عدم وجود أيّ حوار أو مونولوج داخليّ (٥: ٢٨)

شخصيّة ثانويّة

هذه بعض الملاحظات المستخرجة من التحليل الروائيّ كما عرضها جان لويس سكا في كتابه **ما رواه لنا آباؤنا**، تحليل لروايات العهد القديم Analyses des récits de l'Ancien Testament (C.E. n° 155, 2011).

إنّ مشهد الهيكل يحقّق المبدأ الذي يقول: «إنّ هيمنة العمل وقلّة الاهتمام بالتطوّرات النفسيّة هما عاملان من العوامل الرئيسة لفنّ الرواية الكتابيّة» (ص٨١). وهنا نجهل دوافع تصرُّف الأرملة. الأرملة هي إحدى الشخصيّات «المسطّحة» لا «الدائريّة»: «شخصيّات كهذه تدخل بطريقة خاطفة ولا نعرف الكثير عنها. وغالبًا ما تُختصر شخصيّتهم في سِمةٍ من السمات» (ص٨٢): وسِمة الأرملة تكمن في الهبة التي أعطتها. يدعونا ج. ل. سكا إلى أن نصنّف الشخصيّات بحسب عقدة الرواية: **بطل، صلاح** (أو **طلاح**)، **فوائد أو عوامل** (مجرّد أدوات لخدمة العقدة)، **وشخصيّات مكمّلة للديكور** (جموع، ممثّلين، جوقة...).
في أيٍّ من هذه الأدوار يمكننا وضع الأرملة؟ إنّها ليست بطلة إنجيل مرقس، ولكنّها كذلك في هذا المشهد، ويسوع هو الذي يمنحها هذا الدور. ومن جهةٍ أخرى، جعلَ تصرّفها «**صلاحًا**» بالنسبة إلى يسوع: فهي تنخرط في مضمار القيم نفسه (فقد أدان لتوّه الكتبة الّذين يعملون كي يراهم الناس، في حين أنّها، على مثاله، تقدّم ذاتها). ويمكننا أن نعتبرها أيضًا عاملًا من عوامل الرواية، لأنّ تصرّفها أنهى إقامة يسوع في الهيكل، وصار مقدّمةً للخطاب حول نهاية الأزمنة. ويمكننا أن نرى هذا المقطع أيضًا إعلانًا (Prolepse) عن موت يسوع، لأنّه قدَّم هو أيضًا كلّ ما له.

يُبرّر هذه الحركة. ومن ناحية أخرى، ليس هناك ما يُشير إلى أنّ الأرملة سمعت كلام يسوع. إنّها تختفي بدون سابق إنذار. وبذلك ربّما تكون الشخصيّة الوحيدة في الإنجيل التي لم تدخل في علاقة مباشرة بيسوع.

النساء الأخريات: إنّ نظرة سريعة إلى الشخصيّات النسائيّة في إنجيل مرقس تُعلّمنا الكثير: حماة بطرس وابنة يائيرس لا تنطقان بكلمة، لكنّ يسوع يأخذ بيد كلّ منهما ويُنهضها (١: ٣١؛ ٥: ٤١). المرأة النازفة تلمسه، تسجد أمامه، وتقول له الحقيقة (٥: ٢٧-٣٣)، المرأة الكنعانيّة تكلّمه بحدّة (٧: ٢٦-٢٨)، النسوة ينظرن إلى صليبه وقبره (١٥: ٤١-٤٧).

قبل الآلام، المرأة المجهولة التي أفاضت الطيب على رأس يسوع تشبه الأرملة إلى حدٍّ كبير: فعندما سكبت الطيب، «**عملت كلّ ما في وسعها** [حرفيًّا: ما تملكه]» (١٤: ٨)، مثلما وضعت الأرملة «**كلّ ما تملكه**». وفي الحالتين، يفسّر يسوع لتلاميذه حركةً من الصعب إدراك معناها. المرأة التي مسحته بالطيب، والتي اتّصلت بيسوع، تتمتّع بمكانةٍ أعلى: «**في العالم كلّه، يُحدَّث بما صنعت هذه، إحياءً لذكره**» (١٤: ٩).

ولكي يكتمل هذا الموضوع، علينا أن نذكر أيضًا ثلاث شخصيّات نسائيّة لم يلتقِ بها يسوع: هيروديّا وابنتها، مدبّرتي موت يوحنّا المعمدان (٦: ١٤-٢٩؛ وهما تنتميان إلى أوساط أخرى من المجتمع تختلف عن وضع الأرملة). وجارية عظيم الكهنة التي تعرَّفت إلى بطرس (١٤: ٦٦-٦٩).

غنيّ/ فقير. تُعتبر الأرملة الفقيرة في هذه المجموعة شخصيّةً منفصلة من الناحية الدرامِيّة (لم تدخل في علاقة بيسوع، بطل القصّة)، كما أنّها «**فقيرة**» من الناحية الاجتماعيّة. وفي الواقع، لا يوجد عند مرقس إلّا غنيّ واحد وفقيرة واحدة، ممّا يبرّر ربط هذا المشهد في الهيكل مع اللقاء بالشابّ الغنيّ (١٠: ١٧-٢٢)؛ ويدفعنا إلى ذلك المفردات اللغويّة المشتركة في الروايتَيْن. لقد حقّقت الأرملة ما لم يرِد الغنيّ أن يعمله أو لم يستطع فعله: أن يُعطي كلّ ما يملكه، كلّ رزقه. ومع ذلك، نظر إليه يسوع وأحبّهُ (١٠: ٢١).

الشخصيّات الأخرى

الجمع والتلاميذ. إنّهما فئتان مختلفتان: «**الجمع**» (١٢: ٤١) و«**التلاميذ**» (١٢: ٤٣). وهما عادةً

نوعان مختلفان من المستمعين إلى يسوع. ففي مرقس، يتلقّى الجمع تعليمًا عامًّا ويستفيد التلاميذ من تعليم خاصّ وموضَّح (٤: ١-٣٤؛ ٧: ١٤-٢٢). والجمع هنا، وقد ذُكِرَ في ١٢: ٣٧ بصفته من المستمعين المتوافقين مع يسوع، يؤلّف ذلك الحشد الذي تُبرِز نظرة يسوع من وسطه تلك الأرملة من بين الكثير من الأغنياء. أمّا التلاميذ فلم يظهروا في المشهد منذ حادثة تيبيس التينة (١١: ٢٠-٢٥)، وقد رافقوا يسوع إلى أورشليم (١١: ٢٧). لا شكّ في أنّهم هنا مَن يخصُّهم يسوع بتعليمٍ خاصّ، لأنّه يدعوهم إلى أن يروا ما لم يره الناس. لا يذكر مرقس أيّ ردّ فعل مباشر من قبلهم: بعد انصراف الرجل الغنيّ دُهِشوا (١٠: ٢٤)، وبعد سكب الطيب في بيت عنيا استاؤوا (١٤: ٤). كلّ ذلك يحملنا على ظَنّ أنّ ردّ فعل التلاميذ هو عند خروجهم من الهيكل (١٣: ١)، وهذا يبيّن مدى عدم فهمهم ذاك المشهد.

الله. لا يضع مرقس الله في المشهد بشكلٍ مباشر. ومن المفيد أن نذكر أنّنا في الهيكل، وأنّ الحركة التي قامت بها الأرملة تتوجّه إلى الله من خلال الهبة التي قدّمتها، فهو بالتالي المُشاهد الوحيد. ويتدخّل يسوع في هذه الحميميّة ليُخبر التلاميذ عنها. لماذا؟ ذلك هو السؤال، إذ قد لا يكون التلاميذ وحدهم مَن يجهل معنى هذا المشهد كما سنرى لاحقًا.

معنى المشهد

هناك عدّة مسارات يمكن عرضها على القارئ لتفسير المشهد. فالشخصيّة مجهولة الاسم هذه التي لم يلتقِ بها يسوع ولا يدعو إلى التشبُّه بها تترك القارئ محتارًا: ما الذي تعمله هنا، وفي هذه اللحظة بالذات؟

تفسير إيجابيّ: إنّه مثال إيجابيّ على الكرم وتقديم الذات، والمقارنة بالرجل الغنيّ تدفع باتّجاه هذا التفسير: «**تنقصه**» واحدة: أن يبيع «**ما يملكه**» ويعطيه «**للفقراء**» ليكون له «**كنز**» في السماء (١٠: ٢١)؛ إنّ الكلمات الموضوعة بين قوسَيْن مشتركة في النصَّيْن. ما لم يستطِع الرجل الغنيّ أن يعمله، يتأمّله يسوع لدى الأرملة. إذا بقينا في مجال المفردات اللغويّة، نلاحظ أنّ بولس يحثّ أهل قورنتس على المشاركة في جمع الهبات من أجل القدّيسين في أورشليم بعبارات مشابهة: «فإذا سدَّت اليوم سِعتكُم (الفائض لديكم) ما لهم من عوز (نقص) سدّت سعتهم عوزكم في المستقبل، فحصلت المساواة» (٢ قور ٨: ١٤). ومن هذا المنظور تظهر

الأرملة مِثالًا يُقتدى به.

إنّ التقاليد الدينيّة كافّة تقدّم أمثلة مشابهة (راجع القصّة الرابينيّة ضمن الإطار). ولكن ألا يبدو أنّ الحركة التي قامت بها الأرملة تحمل أهمّيّة رئيسيّة في الوقت الذي يخرج فيه يسوع من الهيكل ليسير نحو آلامه؟ في وقتٍ لاحق، النسوة «**ينظرن**» إلى موت يسوع (١٠: ٤٠) وأين وضعوا جثمانه (١٥: ٤٧)، بالطريقة نفسها التي كان يسوع «**ينظر**» بها (يستعمل هنا الفعل ذاته Theorein) إلى الجمع (١٢: ٤١).

هل يقترح مرقس تقاربًا بين يسوع الذي يقدّم ذاته على الصليب والأرملة التي تقدّم كلّ ما تملك؟ إنّ الدلالة خافتة جدًّا وليس هناك أيّ رابط صريح بين الموقفَيْن. بالإضافة، نعود فنقول إنّ يسوع لا يستخلص أيّ عبرة من المشهد؛ إنّه يلاحظه وحسب، وتبقى الجملة التي قالها وكأنّها مُعلّقة: «**ألقت جميع ما تملك...**».

تفسير سلبيّ: أعطى هذا الالتباس الفرصة لقراءةٍ أشدّ سلبيّةً (راجع النصّ الذي ضمن الإطار)، قراءة تؤكّد سياق هذا المقطع المباشر. وبالفعل، يفضح يسوع أولئك الذين «**يأكلون بيوت الأرامل**»؛ وهنا تبتلع خزانة الهيكل ما تمتلكه الأرملة من ناحية. من ناحية

المرأة الفقيرة والكاهن

أحضرت امرأة فقيرة (تقدمةً) حفنة من الطحين، فلم يُعِرها الكاهن أيّ اهتمام وقال: «أنظروا ما جاءت به، ما الذي نستطيع أن نأكله من هذه الحفنة (ما الذي سيبقى منه لحصّة الكهنة؟) وكم ستتمكّن من تقدمته؟» وسمع بعد ذلك صوتًا في الحلم: «لا تحتقرها، فذلك كما لو أنّها قدّمت حياتها».

Lévitiqu Rabba 3 (107a), cité par R. Bultmann, *Histoire de la tradition synoptique* (1921), trad. fr., Éd. du Seuil, Paris, 1973, p. 82.

أخرى، يُعلن يسوع عند خروجه من الهيكل عن خراب هذا البناء. هناك إذًا، وعلينا أن نعترف بذلك، ما ينافي المنطق في الهبة المطلقة هذه التي لن تتمكّن من إنقاذ هيكلٍ مصيره الخراب. وذلك ما يجعل بعضهم يستنتجون أنّ يسوع يرثي ما قامت به الأرملة.

لا تخلو هذه القراءة من بعض نقاط الاستناد في النصّ الإنجيليّ، خصوصًا إذا اعتبرنا أنّ مسيح مرقس هو خصم عنيد لطقوس الهيكل. لذا علينا أن نتخيّل مسحة من الحزن أو الثورة في صوت يسوع. لكن ليس هناك أيّ إشارة روائيّة تسمح لنا بأن نصل فعلًا إلى هذا الحدّ، ويتعثّر القارئ ثانيةً بكلمات

تقوى غير مستنيرة؟

إنّ التفسير الذي يقدّمه المُفسِّر الأميركيّ رايت A. G Wright (وقد اقتبسه منه C. Focant في كتابه: *L'Évangile selon Marc*, Éd. Du Cerf, Paris, 2004, p. 475) قد مضى عهده. وهو يقول إنّ هذه الأرملة تمثّل بدون شكّ التقوى غير المستنيرة، وإنّه يجب أن تُسمَع كلمات يسوع بصفتها رثاء لها. ويقدّم رايت ثلاث حجج تأخذ بعين الاعتبار سياق الرواية.

- ينتقد يسوع «تقدمة القربان» التي تخصّص الأفضليّة للقيَم الدينيّة على حاجات الإنسان (وبالتالي مساعدة والدَين مسنَّين) (مر ٧: ١٠-١٣)، وهنا تُعطي الأرملة قربانها الأولويّة على ما يلزمها للعيش.
- الأرملة هي ضحيّة للنظام الدينيّ الذي يأكل الكتبة فيه مال الأرامل (١٢: ٣٨-٤٢).
- إنّ تقدمة الأرملة غير مجدية لأنّ يسوع يُعلن عن خراب الهيكل (١٣: ٢).

يمكننا التمسُّك بنقطتين مهمّتين: من جهة، الدعوة إلى عدم قراءة المشهد بعيدًا عن سياقه المباشر، ومن جهةٍ أخرى، تأكيد أنّ كلام يسوع المُبهَم الذي، إذا أخذناه بحرفيّته، لا يشير إلى دعوة للتشبُّه بالأرملة. ومع ذلك، هل علينا استنتاج أنّه رثاء؟ يمكننا أن ننتبه إلى أنّه:

- في مر ٧: ١٠-١٣، لا ينتقد يسوع مبدأ التقدمة بل انحرافه عن شريعة الله ومن بينها مساعدة الأبوَيْن.
- الأرملة ليست ضحيّة الكتبة. وفي رأينا تكمن مقارنتها بالكتبة في التناقض بين تديّنهم المتفاخر وحركة الأرملة الخجولة، التي تُميّز بالحريّ المظهر الإيجابيّ لتقدمتها.
- الحجّة الثالثة وهي تبدو أشدّ قبولًا، تقدمة الأرملة التي تبدو بدون جدوى لأنّ الهيكل مصيره الخراب. هنا أيضًا، يلعب التضادّ لصالح حركة الأرملة: في حين أنّ الهيكل دُمِّرَ، دام ذكرى تقدمتها بفضل يسوع وتلاميذه الذين دعاهم.

ونضيف أنّ بعض القرائن الثقافيّة تُبرز القيمة الإيجابيّة للتقادِم الدينيّة. ويشهد على ذلك ردّ فعل الأب سوميرتون O. Summerton اليسوعيّ في الهند: «بعد أن سمع بعض أصدقائي الهندوس، وهم مزارعون، قصّة الأرملة الفقيرة والفلس الذي ألقته في خزانة الهيكل، سألتُهم عن رأيهم فأجابوا: «ما فعلته كان عملًا صالحًا. وفي حياتها الثانية ستكون بالتأكيد غنيّة جدًّا»» (*Revue Word Event* nr. 16, 1986, p. 35-36).

يسوع، وهي بمجملها تنتقد بقسوة. ربّما علينا أن لا نتوقّف على هذه الكلمات وحدها، وأن نأخذ بعين الاعتبار النظرة التي سبقتها.

درس في النظر: لقد بدا لنا أنّ موضوع النظر مسار خصب للتفسير. يميّز يسوع الأرملة من بين الجمع، ويشعر بالحركة التي بقيت دوافعها غير معروفة، ويعطيها معنًى يفسّره لتلاميذه. وبالأسلوب نفسه، يستطيع يسوع في مرقس أن ينفذ إلى الأفكار التي تجول في أذهان خصومه (٢: ٨؛ ١٣: ٤-٥) أو تلاميذه (٩: ٣٤). النظرة الحادّة هذه تجعله شخصًا خارجًا عن المألوف.

على القارئ أن يتذكّر أنّ تقدمة الأرملة لم تكن مُقدَّمة في النهاية إلّا إلى الله وحده. فيسوع يرى إذًا ما يراه الله، ويدعو تلاميذه لكي يصبحوا هم أيضًا شهودًا على ما يراه الله. في الرواية الرابينيّة (ضمن الإطار) يحتاج الكاهن إلى أن يُنيره الله بخصوص قيمة تقدمةٍ تبدو في الظاهر وكأنّها لا قيمة لها. ويحتاج التلاميذ أيضًا إلى نظرة يسوع وكلامه لكي يُنير لهم حركةً لم يكونوا شهودًا لها. فالمستفيدون من هذا المشهد هم الرسل المدعوّون إلى أن ينظروا، وأن ينظروا في العمق.

وبشكلٍ ما، لا يهمّ أن يُفهَم فعل الأرملة بطريقة سلبيّة، بما أنّ هذه الأرملة شخصيّة للتأمّل أكثر منه للّقاء، ويمكننا على الأقلّ افتراض أنّ الاحترام الواجب لعملٍ تمّ كي يراه الله وحده يفرُض على

لقاء عابر

تذكر مادلين ديلبريل Madeleine Delbrêl (١٩٠٤-١٩٦٤) في كلامها على الطيبة اللقاء بامرأة مجهولة في بلدٍ غريب، في وقتٍ كانت تهيم فيه على وجهها وحيدة تعِبة وغارقة في الدموع. «إبتدأت السماء تُمطر؛ وكنت جائعة. بضع قطع النقود الباقية معي كانت تُحدّد ما يمكنني أن أطمح لشرائه. دخلت مقهًى صغيرًا يقدّم الطعام أيضًا. إخترت ما يمكنني شراؤه: بعض الخضار النيّئة. وابتدأت أمضغها ببطء لتكون مغذّية أكثر وبانتظار أن يتوقّف المطر. كانت عيناي تدمعان من حينٍ إلى آخر. وفجأةً، التفّ حول كتفيّ ذراع مريح وودود، وقال لي صوت: «قهوتك، أنا أعطيكِ إيّاها». كان الكلام واضحًا جدًّا (...). لقد تحدّثت مرّات كثيرة عن هذا الشخص، وفكّرت فيه، وصلّيت من أجله بامتنان لامتناهٍ. واليوم، فيما أبحث عن الطيبة بلحمها ودمها، تفرض ذكرى هذه الشخصيّة نفسها عليَّ».

M. Delbrêl, *Nous autres, gens des rues*, Éd. du Seuil, Paris, 1966, p. 157-158.

يسوع أن لا يتدخّل في قصّتها، ولا حتّى أن يخاطبها. إنّه يكتفي بأن يروي قصّة الأرملة كما يروي قصّة الزارع الذي خرج ليزرع حقله (٤: ٢٦). ولنضِف أنّ

الأناجيل التي تروي هذا المشهد (مرقس ولوقا) لا تقدّمه كقصّة من مخيّلة يسوع راوي الأمثال. فالأرملة الفقيرة تفرض نفسها على نظر يسوع، بمعزل عن أيّ مبادرةٍ من ناحيته، وبشكلٍ مجّانيّ، وفي نهاية صراعٍ حادّ مع خصومه، وفي لحظة مغادرته الهيكل بشكلٍ نهائيّ. إنّها تأتي بشكلٍ مفاجئ لتحتلّ مكانة الصدارة في هذه الرواية، ويُمسِك يسوع بهذه الشخصيّة التي لم يرها إلّا هو والله، ليقدّمها إلى تلاميذه، وإلى قُرّاء الإنجيل من بعدهم، موضوعًا للتأمّل.

يستطيع القُرّاء أن يُعجبوا بفنّ الرواية كما تتمّ أحداثها هنا، ويمكنهم أيضًا أن يقابلوا هذه الخبرة بخبرتهم الشخصيّة. مَن منّا لم يقابل في حياته شخصًا أو مجموعة أشخاص أصبحوا مثالًا حيًّا له (راجع النصّ ضمن الإطار)؟ يقول لنا مرقس إنّ هذا ما حصل ليسوع، ويقدّم إلينا شخصيّة فريدة من نوعها، إذ لا يذكر أيّ أرملة أخرى في إنجيله، وقد احتفظ بهذه الشخصيّة ليرويها في الختام، في روايته آخِرَ نظرةٍ ليسوع قبل آلامه وموته.

رواية لوقا ٢١: ١-٤

حافظ لوقا على ذكرى هذا الحدَث ووضعه هو أيضًا بين جدال أخير مع الكتبة (لو ٢٠: ٤٥-٤٧) وردّ فعل

> **لوقا ٢١: ١-٤ (ترجمة حرفيّة)**
>
> [١]ورفع طرفَه فرأى الّذين يُلقون هباتهم في الخزانة، وكانوا من الأغنياء. [٢]ورأى أرملةً مسكينة تُلقي فيها فلسَين. [٣]فقال «بحقٍّ أقول لكم إنّ هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر منهم جميعًا، [٤]لأنّ هؤلاء كلّهم ألقوا في الهبات من الفاضل عن حاجتهم، وأمّا هي فإنّها من حاجتها ألقت جميع ما تملك لمعيشتها».

مجموعة (مجهولة في هذه المرّة) تجاه جمال الهيكل، ممّا يسمح كما في مرقس بإدخال الخطاب حول خراب الهيكل ونهاية الأزمنة (٢١: ٥-٣٦).

إنّ الفوارق طفيفة بين روايتَيْ مرقس ولوقا. يُشير لوقا إلى نظرتين ليسوع: واحدة إلى الأغنياء، والأخرى إلى الأرملة، وهذا يزيد من قيمتها؛ بما أنّه أغفل ذكر الجمع، تصبح شخصيّة الأرملة في منافسة مباشرة مع الأغنياء. نظرة يسوع الأولى تتّجه إلى فوق، ويستعمل لوقا الفعل Anablepô «**رفع طرفَهُ**» (المُستعمَل في لقائه وزكّا في ١٩: ٥، راجع النصّ ضمن الإطار). إنّه يستخدم صفتين مختلفتين لوصف الأرملة وذلك على الأغلب لتنويع المفردات: «**مسكينة**» (آية ٢) وفقيرة (آية ٣)، ويؤكّد مرّتين (آية ١٤) أنّ المال الذي ألقته هو هِبة. وبيان

يسوع لا يبدأ بعبارة «**الحقّ، أقول لكم**» بل «**بحقٍّ، أقول لكم**»، ومن ناحية أخرى، لا يذكر مَن المُخاطَبين. ومع ذلك، في ٢٠: ٤٥، يوضّح لوقا أنّه حتّى عندما يتوجّه يسوع بالكلام إلى التلاميذ، فإنّ الشعب أيضًا يسمع، إذ يُنظَر إلى الهيكل بصفته المكان الأمثل للإصغاء إلى تعليم يسوع.

تتّسم هذه الشخصيّة في لوقا ببُعدٍ يختلف عمّا تتّسم به في مرقس، لأنّ الرواية ذكرت سابقًا عدّة أرامل:

- يلتقي يسوع الطفل عند دخوله الهيكل المرّة الأولى بالأرملة النبيّة «حنّة» التي تمثّل، مع سمعان، أعمق ما في شعب إسرائيل من أمانة (٢: ٣٦-٣٧).
- في مجمع الناصرة، يضع يسوع رسالته تحت راية النبيّ إيليّا: «كان في إسرائيل الكثير من الأرامل في أيّام إيليّا (. . .) ولم يُرسَل إيليّا إلى واحدة

نظرات يسوع عند لوقا

متوجّهًا بنظره إلى الحقائق الإلهيّة في لحظة المعموديّة عند متّى ومرقس (متّى ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠)، يتوجّه أوّل نظر ليسوع عند لوقا إلى سفينتي مَن سيكونون تلاميذه في المستقبل (لو ٥: ٢). والنظرة الأخيرة ستكون إلى تلميذ، بطرس، أنكره: «**فالتفت الربّ ونظر إلى بطرس**» (٢٢: ٦١). لنلاحظ هنا أنّ الفاعل ليس «**يسوع**»، بل «**الربّ**»، وهو لقب يشير عند لوقا إلى أنّ يسوع هو ربّ المسيحيّين؛ ونظرته تدعو إلى التوبة: «**فتذكّر بطرس**. . .»

الذكر الثاني لنظرة «**الربّ**» يُشير إلى نظرة الشفقة على أرملة نائين (٧: ١٣). أمّا في الأماكن الأخرى فإنّ «**يسوع**» هو الفاعل في أفعال ملاحظة الآخرين.

«**ورفع طرفَهُ**» نحو السماء ليُصلّي قبل تكثير الخبز (٩: ١٦)، نحو زكّا على شجرته (١٩: ٥)، نحو الجمع الذي يُلقي الهبات في الهيكل (٢١: ١). وقبل أن يبدأ يسوع عظته الكُبرى، يرفع عينيه نحو تلاميذه (٦: ٢٠).

«**يرى**» يسوع لاوي جابي الضرائب قبل أن يدعوه (٥: ٢٧)، البرص العشرة (١٧: ١٤)، الشابّ الغنيّ الذي اغتمَّ (١٨: ٢٤)، الأرملة في الهيكل (٢١: ٢).

يسوع «**يجيل طرفَهُ**» في خصومه (٦: ١٠)، و«**يحدّق**» بهم للمرّة الأخيرة قبل أن يروي لهم مثَل الكرّامين القتلة (٢٠: ١٧).

تلاحظ نظرة يسوع الحقائق التي لا يمكن أن تراها العيون: «**الإيمان**» (٥: ٢٠)، الشيطان (١٠: ١٨). وهذا ما يسمح له بأن يوجّه نظر الذين يسمعونه؛ كسمعان الفرّيسيّ مع المرأة الخاطئة: «**أترى هذه المرأة؟**» (٧: ٤٤).

منهنّ، وإنّما أُرسِل إلى أرملة في صرفت صيدا» (٤ : ٢٥-٢٦).

- في نائين، وكما لو أنّه أراد تأكيد هذا الإعلان، يُقيم من الموت ابنَ أرملةٍ هو الوحيد لديها (٧: ١١-١٧) على مثال إيليّا وما فعله في صرفت صيدا (١ مل ١٧ : ١٧-٢١).
- في أحد الأمثال حول الصلاة، يحكي مواجهة أرملة قاضيًا ظالمًا (لو ١٨ : ١-٨)؛ الشخصيّة هي في الآن نفسه ضعيفة في مواجهة إنسانٍ قويّ، ومزعجة لا تكِلُّ عن الطلب، والنظرة إليها إيجابيّة نوعًا ما.

إنّ مشهد الأرملة في الهيكل سيشكّل إذًا نغمة جديدة. إنّ يسوع، عند مجيئه في آخر مرّة إلى الهيكل، يلتقي مرّةً أخرى بأرملة تعادل في كرمها أرملة صرفت صيدا التي أطعمت إيليّا كلّ ما كانت تملكه لمعيشتها (١ مل ١٧ : ١٠-١٦). وهي تأتي، في لوقا، لتختم نوعًا ما مجموعة من الصور الكتابيّة. إنّها آخر أرملة يتأمّلها يسوع، وكان ذلك في الهيكل، مكان الإصغاء وتجلّي الله منذ بداية إنجيل لوقا (١: ٨) حتّى نهايته (٢٤ : ٥٣). بيد أنّها تحتفظ بذلك الطابع الفريد الذي تتّسم به أيضًا عند مرقس. لا يتكلّم يسوع وإيّاها، لكنّه ينتبه فقط إلى ما فعلته ويُعطيه معنًى.

اللقاء الأوّل والأخير، والوحيد

ما الذي يمكنه أن يستوقفنا في هذا المسار وقد وضعنا أنفسنا في مضمار اللقاء؟ إنّ الأرملة التي لاحظناها في الهيكل عند مرقس وعند لوقا ليست تمامًا الأرملة نفسها.

فهي عند مرقس فريدة من نوعها بين كلّ نساء الإنجيل بحكم ترمّلها، وفقرها (لم تُذكر شخصيّة أخرى بصفتها «فقيرة»، حتّى الشحّاذ الأعمى برطيماوس، مر ١٠ : ٤٦)، وموقعها في الرواية (لا يوجد احتكاك مباشر مع يسوع، وهي آخر شخص يصادفه يسوع في الهيكل). وأخيرًا، إنّها آخر مَن ينظر إليه يسوع في هذه الرواية.

أمّا عند لوقا فقد سبقتها عدّة أرامل أخرى، ويجب أن نضعها في المنظور نفسه مع حنّة، أوّل أرملة يلتقيها يسوع في الهيكل، وكذلك مع أرملة صرفت صيدا. وكما في مرقس - على الأقلّ في التفسير الإيجابيّ - فإنّ قيمتها ليست بما تقوله بل بما تُعطيه. لا شكّ في أنّ هذا العطاء يبقى خفيًّا ولا يمكن تفسيره بدون يسوع، ولكن في الوقت نفسه يفرض المشهد ذاته على يسوع بمجّانيّة وبدون أيّ مبادرة منه.

إنّ قراءة الأعمال الأدبيّة تجعلنا منتبهين إلى ظهور شخصيّات الرواية واختفائها، دخولها وخروجها. وقد

تحقّقنا من أنّ ذلك ينطبق أيضًا على الأناجيل. ومع ذلك، ليست الروايات الأدبيّة هي أوّل مَن يُعلّمنا أنّ في كلّ وجود إنسانيّ لقاءات لأوّل مرّة أو لآخر مرّة، لقاءات وحيدة توجّه فهمنا للعالم والله، لقاءات بدون كلامٍ ولكنّها تُكلّمنا. إنّها الحياة. فهناك اللقاء الأوّل بصديق (أو عدوّ!)، برفيق دربنا في المستقبل، لقاءات تُحفَر في ذاكرتنا. وهناك أيضًا النظرة الأخيرة، الكلمات الأخيرة، اللقاء الأخير بالذين رحلوا لوقتٍ ما أو إلى الأبد. إنّ قصّة الأرملة الفقيرة تلك تُسجّل هذه الخبرة في الإنجيلَين، روايتين رائعتين عن حياة يسوع وضعتها الجماعات المسيحيّة الأولى. ويسوع عاش أيضًا لقاءات أولى، وأخيرة، ووحيدة. ويخرجها مرقس بمشاهد تزيدها روعةً. ولنقُل ذلك بطريقة أخرى، إنّ سؤال القارئ «كيف عرف يسوع أنّ هذه المرأة أرملة وفقيرة؟» يبقى بدون جواب. وبالمقابل، يُشير النصّ إلى آخر نظرة ليسوع، ولدينا هنا خبرة إنسانيّة عميقة.

٢ - لقاءاتُه المتألِّمين

تتمّ رسالة يسوع في الأناجيل الإزائيّة تحت علامة اللقاء بالمتألّمين: مرضى وممسوسين والأشخاص المحيطين بهم. ومنذ زمن طويل قامت الأبحاث التفسيريّة بتصنيف ما نسمّيه عادةً «روايات المعجزات»، واستخلصت منها المخطّطات النموذجيّة، وانتبهت إلى الفرادة الأدبيّة واللاهوتيّة لكلٍّ من الأناجيل. إنّنا نضيف إليها الفئات التي ظهرت في الفصل السابق: الأوّل، الأخير، الوحيد. وسنطرح هذا السؤال في كلّ إنجيل: مَن هو أوّل وآخر متألّم التقاه يسوع؟ وما هي فرادة كلّ لقاء؟

سيتمّ عرض هذه الدراسة كما يلي: ستُخصّص المرحلة الأولى لنقاط التقارب بين الأناجيل الإزائيّة والمرحلة الثانية لفرادة كلّ منها. وذلك بأن نأخذ بوجهتَيْ نظر: أوّلًا بمحاولتنا إدراك المسار الذي يقود من أوّل لقاء إلى آخر لقاء، وبعد ذلك بالتركيز على صورة شخصيّة معيّنة.

نقاط التقارب

سنقوم بالتركيز في هذا على روايات مشتركة في الأناجيل الإزائيّة عن شفاءٍ وطردٍ للشياطين في فرادتها كما في تتابعها. عند قراءتنا الجدول التالي، من الممكن انتقاء عدد من المقاطع المشتركة التي تتتالى نوعًا ما بالترتيب نفسه.

الشفاءات الأولى

المجموعة الأولى تحتوي على مقطعَيْ شفاء ممسوس وحماة بطرس، يليهما سردٌ «**موجز**» عند غروب الشمس، وضمن إطار محدّدٍ ليوم في كفرناحوم. ويمكننا أن نضمّ إليها شفاء الأبرص. إنّ الروايات لا تتتابع بالتسلسل نفسه في نظر الإنجيليّين، وذلك بحسب خريستولوجيا كلٍّ منهم.

الطاهر والنجِس: مع ذلك، وبالرغم من أنّ رسالة يسوع تبدأ في متّى بتطهير أبرص في حين تبدأ في مرقس ولوقا بطرد روح نجِس، فإنّ روايات اللقاء الأولى

لقاء الأشخاص	متّى	مرقس	لوقا	مقاطع
ممسوس كفرناحوم		١ : ٢١-٢٨ (المعجزة الأولى)	٤ : ٣١-٣٧ (المعجزة الأولى)	الشفاءات الأولى
حماة سمعان بطرس (+ خلاصة)	٨: ١٤-١٥ (+ ٨: ١٦-١٧)	١ : ٢٩-٣١ (+ ١ : ٣٢-٣٤)	٤ : ٣٨-٤٠ (٤ : ٤١)	
أبرص	٨: ١-٤ (المعجزة الأولى)	١ : ٤٠-٤٥	٥ : ١٢-١٦	
مُقعَد (+ دعوة لاوي/ متّى والأكل مع الخطأة)	٩: ٢-٨ (+ ٩: ٩-١٣)	٢ : ١-١٢ (+ ٢ : ١٣-١٧)	٥ : ١٧-٢٦ (+ ٥ : ٢٧-٣٢)	الخطأة
(جدال حول حادثة السنبل الرجل مشلول اليد + خلاصة)	(١٢ : ١-٧) ١٢ : ٩-١٤ (+١٢ : ١٥-٢١)	(٢ : ٢٣-٢٨) ٣ : ١-٦ (+ ٣ : ٧-١٢)	(١٦ : ١-٥) ٦ : ٦-١١ (+ ٦ : ١٧-١٩)	الجدالات
(تسكين العاصفة) طرد الشيطان، عند الجراسيّين	٨: ٢٣-٢٧) ٨: ٢٨-٣٤	(٤ : ٣٥-٤١) ٥ : ١-٢٠	(٨ : ٢٢-٢٥) ٨ : ٢٦-٣٩	العواصف
إبنة يائيرس؛ شفاء منزوفة؛ ابنة يائيروس (تابع)	٩: ١٨-٢٠ ٩: ٢٠-٢٢ ٩: ٢٣-٢٦	٥ : ٢١-٢٤ ٥ : ٢٥-٣٤ ٥ : ٣٥-٤٣	٨ : ٤٠-٤٢ ٨ : ٤٣-٤٨ ٨ : ٤٩-٥٦	إمرأة مريضة وفتاة ميتة
صبيّ مُصاب بالصرَع	١٧ : ١٤-١٨	٩ : ١٤-٢٧	٩ : ٣٧-٤٣آ	الابنان
أعمى أريحا	٢٠ : ٢٩-٣٤ (المعجزة الأخيرة)	١٠ : ٤٦-٥٢ (المعجزة الأخيرة)	١٨ : ٣٥-٤٣ (المعجزة الأخيرة)	نقطة الوصول

هذه تتموضع جميعها على الحدود بين الطاهر والنجِس. الرجل في المجمع «**فيه روحٌ نجِس**» (مر ١ : ٢٣؛ لو ٤ : ٣٣) والأبرص يطلب «**أن يبرأ**» (متّى ٨ : ٢-٣)؛ إنّ الإزائيّين الثلاثة اختاروا أن يفهموا يسوع من خلال منطقة تصدُّع في مجتمعات عصرهم، وذلك، في موقفٍ علنيّ: فقد حصل طرد الروح النجِس في مجمع كفرناحوم (مر ١ : ٢١؛ لو ٤ : ٣٣)، وكانت جموع كثيرة تتبع يسوع لمّا نزل من الجبل فأتاه الأبرص (متّى ٨ : ١). الرواية الأخيرة هذه موجودة في الأناجيل الثلاثة. يسوع «**يمُدُّ يده**»، كما فعل موسى سابقًا عندما كان يجترح

المعجزات (خر ١٤: ٢١-٢٧).

إمرأة مريضة: يتّفق الإنجيليّون الإزائيّون على القول إنّ حماة بطرس كانت المرأة الأولى التي التقاها يسوع. وهي أيضًا المرّة الأولى التي يجتاز فيها يسوع عتبة منزل. وتنتهي الروايات الثلاث بالخدمة: «**وأخذت تخدمهم**» (مر ١: ٣١ و//). واستطاع بعض المؤلّفين المناصرين للمرأة، عن حقّ، تحليل هذه الرواية، خصوصًا رواية متّى، ليروا فيها رواية دعوة: إنّ بطرس وزملاءه مدعوّون ليصبحوا صيّادي بشر، وحماة بطرس مدعوّة للخدمة. ومهما كان الأمر، يمكننا أن نحكم على الأقلّ بوجود نقطة توافق أخرى بين الأناجيل الإزائيّة: المفارقة بين هذه المرأة، شخصيّة يعرفها المحيط الرسوليّ، والآخرين، والشخصيّات مجهولة الهويّة والمحدَّدة بحسب مرضها، الممسوس والأبرص.

لقاءاتُه الخطأة

تتضمّن هذه المجموعة شفاء المُقعَد ودعوة جابي الضرائب والأكل مع الخاطئين، وتنتهي بإعلانٍ يكشف فيه يسوع عن معنى رسالته: «**ما جئتُ لأدعو الأبرار، بل الخاطئين**» (مر ٢: ١٧ و//).

إنّ رواية شفاء المُقعَد تُمثّل الملامح المشتركة للأناجيل الثلاثة: **يرى يسوع إيمان** الإنسان العاجز هذا قبل أن يُحرّره من خطيئته ومن عاهته. وتظهر للمرّة الأولى في مجريات أحداث الإنجيل جماعة الكتبة المعارضين يسوع؛ وتنتهي القصّة بالتزامن مع جوقة ختاميّة تهتف بالتمجيد لله (مر ٢: ١٢ب و//).

هناك تضادّ بين المُقعَد المجهول الاسم والتلميذ جابي الضرائب المعروف باسم لاوي (بحسب لوقا ومرقس) أو متّى (بحسب متّى). في الحالتين، يبدأ اللقاء بنظرة: «**رأى**» يسوع إيمان الذين حملوا المُقعَد، ثمّ «رأى» جابي الضرائب جالسًا في بيت الجباية. ثمّ يكون لكلامه تأثير مباشر: يحمل المُقعَد فراشه ويمضي، ولاوي/متّى يقوم ليتبع يسوع.

الجدالات

يتمّ إدراج جدال داخل رواية شفاء الرجل المشلول اليد. وهناك جدال سابق بخصوص احترام السبت (مر ٢: ٢٣ و//). ويأتي الحدَث المتعلّق بالسبت والمجمع ليُعزّز ما أعلنه يسوع ويُبرِزه: «**فإنّ ابن الإنسان سيّد السبت أيضًا**» (مر ٢: ٢٧ و//). وسيؤول الأمر في

الأحوال كافّةً إلى التآمر على يسوع. إنّ الفعل Katagorô، «يشكوهُ» يظهر هنا المرّة الأولى (لو ٣: ٢ و//) ولن يظهر ثانيةً إلّا في إطار روايات الآلام. فهذا الشفاء الاستفزازيّ قد بدأ يوجِّهُنا نحو المأساة النهائيّة. ويتوسّع بعد ذلك هذا المنظور عند الكلام على الشفاءات وطرد الشياطين بشكلٍ جماعيّ (مر ٣: ١٠-١١ و//).

روايات العواصف

يجتاز يسوع بلاد الوثنيّين ويواجه عاصفة الأمواج وعاصفة الرجل الممسوس. ويقوم البحر في الروايتين بدورٍ أساسيٍّ كمكان للموت غرقًا (مر ٤: ٣٨ و//؛ ٥: ١٣ و//).

في رواية تسكين العاصفة، «يزجُر» يسوع عناصر الطبيعة، كما يزجُر عادةً الأرواح النجسة. الغريب هو أنّ هذا الفعل لم يُستعمَل ثانيةً في رواية ممسوس الجراسيّين، بل هناك نوع من اللعب بالكلمات في استخدام المفرد والجمع. ويصبح يسوع أكثر فأكثر مفردًا (وحده)، والممسوس أكثر فأكثر جمعًا. فالشيطان يتكلّم بصيغة الجمع، ويدخل في قطيع الخنازير. وجاء الناس من المدينة (صيغة جمع أخرى) وطلبوا من يسوع أن ينصرف عن بلدهم. إنّ إنجاز يسوع الأوّل هذا في بلاد الوثنيّين انتهى بطرده من تلك المنطقة. وصرخة الممسوس: «**ما لي ولك، يا يسوع ابن العليّ؟**» (مر ٥: ٧ و//) هي ردّ على ما أعلنه ركّاب السفينة: «**مَن تُرى هذا...؟**» (مر ٤: ٤١ و//). إنّ يسوع يغامر بكشف هويّته ونجاح رسالته في اللقاء الصاخب هذا بالممسوس الوثنيّ.

المرأة المريضة والفتاة الميتة

تلتحم هاتان الروايتان بطريقة الترصيع. ففي أكثر من وجه هناك توازٍ بين الشخصيّتَيْن:

- من ناحية السنّ: المرأة مريضة منذ اثنتي عشرة سنة، والفتاة لها العمر نفسه (مر ٥: ٢٥، ٤٢).
- وضعهما الاجتماعيّ: إمرأة وحيدة تقترب خِلسةً، وابنة أحد الوجهاء تستفيد من الدعم الوالديّ.
- الاتّصال بيسوع: الواحدة تلمس رداءهُ في حين يمسك يسوع بيد الأخرى (مخالفة لشرط الطهارة).

إنّ التوازي بين الشخصيّتين النسائيّتين يتضاعف في التوازي بين المرأة ووالد الفتاة. فإيمان المرأة المريضة يلتقي بإيمان الرجل الوجيه الذي ارتمى على

قدمَي يسوع؛ ولننتبه إلى الانزلاق اللغويّ الذي كلُّه مغزى: الرجل الوجيه يتوسّل إلى يسوع من أجل «**ابنته**» (Thugater)، ولكن عندما واجه يسوع المرأة التي شُفيَت، يستخدم هذه العبارة: «**يا ابنتي**، إيمانكِ خلّصكِ»، كما لو أنّه يجعل نفسه أبا هذه المرأة التي لم تحظَ حتّى تلك اللحظة بأيّ حماية ذكريّة (إنّها المرأة الوحيدة التي يخاطبها يسوع بهذا الأسلوب).

إنّ أسلوب الترصيع يؤكّد التطابق بين الشخصيّات؛ فيتكامل إعلان إيمان الرجل الوجيه والمرأة النجِسة. وإذا وضعنا أنفسنا في موقف اللقاء، نرى فيه ترجمة لخبرة بشريّة بسيطة وعميقة: إنطلق يسوع ليسعف رجلًا أصابته شِدّة، فأخّرته في الطريق شِدّةٌ أخرى.

الابنان

إنّ شفاء الصبيّ المصاب بالصرع، بعد التجلّي، يُسمعنا، من ناحية، صدى صوت أبويّ بشريّ: «**أتيتُكَ بابني**» (مر ٩ : ١٧ و//)، يردّد صدى الصوت الأبويّ الإلهيّ: «**هذا هو ابني الحبيب، فلهُ اسمعوا**» (مر ٩ : ٧ و//). ومن ناحية أخرى، تُبرز الرواية غياب إيمان الرسل وقدرة يسوع.

نقطة الوصول: شفاء الأعمى

إذا كان هناك اختلاف بين الإزائيّين بخصوص أوّل لقاء ليسوع، فهناك بالمقابل توافُق بخصوص آخر لقاء. فالمشهد يحدث بأريحا، ويضع يسوع وجهًا لوجه مع أعمى (أعميَيْن) (مر ١٠ : ٤٦-٥٢ و//)؛ إنّه يختُم رسالة يسوع قبل وصوله إلى أورشليم. فلنلاحظ أنّ كلّ روايات الشفاء تنتهي عادةً بإرسال الشخص المريض. ولكن هنا، وبشكلٍ غير متوقَّع، يتبع الأعمى يسوع في طريقه إلى أورشليم (النصّ التالي ضمن الإطار). وبأسلوبٍ مختلف بحسب كلّ إنجيل، ينتهي اللقاء وكأنّه رواية دعوة تبدو مماثلة لرواية دعوة التلاميذ الأوّلين (مر ١ : ١٦-١٨ و//). إنّها بالفعل مفارقة: قصّة آخر شفاء قام به يسوع هي قصّة أوّل شخص شُفيَ وقرّر أن يتبعه.

تناقضات

تعزف الأناجيل على أوتار عددٍ من التناقضات بأسلوب يتنوَّع بحسب المقاطع:

- بين الجموع والأفراد: بالتناوب بين روايات الشفاء الجماعيّ (الخُلاصات) وروايات اللقاء الشخصيّ؛ ويبرز الأمر

نفسه عندما يظهر شخص من بين الجموع (المرأة المنزوفة في مرقس ولوقا، الأعمى «الأعميان» في أريحا لدى الإنجيليّين الثلاثة)؛

- بين الرجال والنساء؛ الأبرص وحماة بطرس، الرجل الوجيه والمرأة المنزوفة؛
- بين شخصيّات معروفة (حماة بطرس، التلميذ لاوي - متّى) والأشخاص المجهولي الاسم (الأبرص، الممسوس، المُقعَد)؛
- وأخيرًا، التناقض الاجتماعيّ: الفتاة التي تستفيد من شفاعة أبيها، رجل وجيه، والمرأة المنزوفة الغارقة في وحدتها قبل أن يُشار إليها بصفتها «ابنة».

وهكذا، تسمح لنا الأناجيل بأن نفهم تنوُّع الشخصيّات التي التقى بها يسوع بشكلٍ يتخطّى الحدود التي يفرضها المجتمع اليهوديّ في القرن الأوّل. ويبدو أنّ يسوع كان يعطي الأشخاصَ المهمَّشين الأفضليّة، وتقوم كلّ رواية إنجيليّة بتنسيق هذه التناقضات بطريقة مُبتكرة.

مرقس: من الممسوس المجهول إلى برطيماوس

إذا اعتبرنا أنّ مرقس هو الأكثر إيجازًا بين أناجيلنا (٦٦١ آية)، فإنّ أهمّيّة

«إذهب» أو «اتبعني»

لقد دعا يسوع إلى اتّباعه: «تعال اتبعني» (Deute opisô mou): متّى ٤: ١٩؛ مر ١: ١٧؛ «إتبعني» (Akolouthei moi): متّى ٨: ٢٢؛ ٩: ٩؛ ١٩: ٢١؛ مر ٢: ١٤؛ ١٠: ١٢؛ لو ٥: ٢٧؛ ٩: ٢٣؛ ١٨: ٢٢. واستعمل أيضًا صيغ إرسال، خصوصًا مع المرضى الّذين شفاهم: «إمضِ» (Hupage): متّى ٨: ٤، ١٣ و٩:٦؛ مر ١: ٤٤؛ ٢: ٩؛ ٢: ١١؛ ٥: ١٩، ٣٥؛ ٧: ٢٩؛ ١٠: ٥٢؛ ويفضّل لوقا فعل الأمر: «إمشِ / إذهب» (Poreuou): لو ٥: ٢٤؛ ٧: ٥٠؛ ٨: ٤٨؛ ١: ٣٧؛ ١٧: ١٩.

بالإجمال، لدينا عشر صيغ دعوةٍ إلى الاتّباع وخمس عشرة صيغة للإرسال. فبحسب الأناجيل، دعا يسوع إلى تركه أكثر ممّا دعا إلى اتّباعه. وينفصل عن هذا المنظور ثلاثة أشخاص:

- يواجه ممسوس الجيراسيّين الذي شُفي رَفْضَ يسوع بأن يتبعه (مر ٥: ١٨-٢٠)؛
- في الأناجيل الثلاثة، الرجل الغنيّ الذي دعاه يسوع إلى أن يتبعه يعود إلى بيته (مر ١٠: ٢١-٢٢ و//)؛
- يُطلَب من برطيماوس، عند مرقس، أن يذهب، فيتبعه على الطريق (مر ١٠: ٥٢)... وهو الطريق المؤدّي إلى أورشليم وإلى الصليب!

روايات اللقاءات بأشخاص متألّمين (وهي تقريبًا الثلث، ٢٠٩ آية) لا بدّ لها من أن تجذب انتباهنا.

تبدأ رسالة يسوع في الشفاء بطرد الروح النجِس من رجل في مجمع كفرناحوم (مر ١ : ٢١-٢٨)، وتنتهي

مر ١ : ٢١-٢٨	اللقاء الأوّل بشخص متألّم: رجل فيه روح نجِس يوم السبت في مجمع كفرناحوم.
مر ١ : ٢٩-٣٢	شفاء حماة بطرس، أوّل لقاء بامرأة، أوّل حركة بيده.
مر ١ : ٣٢-٣٤ (خلاصة رقم/ ١)	«ولم يدَع الشياطين تتكلّم، لأنّها عرفتهُ» (١ : ٣٤ ب).
مر ١ : ٤٠-٤٥	شفاء الأبرص، أوّل إشارة إلى «شفقة» يسوع.
مر ٢ : ١-١١	شفاء المُقعَد، أوّل ظهور لخصومه.
مر ٣ : ١-٦	شفاء رجل يده مشلولة. أوّل مشروع للتآمر على يسوع.
مر ٣ : ٧-١٢ (خلاصة رقم/ ٢)	«فكان ينهاها بشدّة (الأرواح النجِسة) عن كشف أمرهِ».
مر ٥ : ١-٢٠	الممسوس عند الجِراسيّين: الرحلة الأولى إلى أرض الوثنيّين.
مر ٥ : ٢١-٢٤، ٣٥-٤٣	إحياء ابنة الرجل الوجيه، يائيرس.
مر ٥ : ٢٥-٣٤	اللقاء بالمرأة المنزوفة.
مر ٦ : ٥	شفاءات في الناصرة.
مر ٦ : ٣٥-٥٦ (خلاصة رقم/ ٣)	«وكان جميع الذين يلمسونه يشفون» (٦ : ٥٦).
مر ٧ : ٢٤-٣٠	المرأة السوريّة - الفينيقيّة، المرأة الوثنيّة الوحيدة.
مر ٧ : ٣١-٣٧ (رواية خاصّة بمرقس)	شفاء الأصمّ - الأخرس.
مر ٨ : ٢٢-٢٦ (رواية خاصّة بمرقس)	شفاء أعمى بيت صيدا، الأعمى الأوّل.
مر ٩ : ١٤-٢٩	طرد الشيطان من صبيّ مُصاب بالصرَع، آخر طرد للشيطان.
مر ١٠ : ٤٦-٥٢	شفاء الأعمى **برطيماوس** بأريحا، على جانب الطريق؛ آخر شفاء.

بشفاء الأعمى برطيماوس في أريحا على جانب الطريق الذي يؤدّي إلى أورشليم (١٠ : ٤٦-٥٢).

نحن نعلم أنّ كلّ ما في إنجيل مرقس يدور على كشف هويّة يسوع. «**يسوع المسيح، ابن الله**» (١ : ١) لا ينكشف بكامله إلّا على الجلجلة عندما قال قائد المئة: «**هذا الرجل ابن الله حقًّا**» (١٥ : ٣٩). وروايات لقاءات يسوع الثلاثة عشر بأشخاص متألّمين هي محطّات في هذا المسار، إحدى عشرة منها تسبق إعلان إيمان بطرس، «**أنتَ المسيح**» (٨ : ٢٩)، يتبعه الإعلان الأوّل عن آلامه (٨ : ٣١-٣٢)، ويفتتح رحيله إلى أورشليم. وطرد الشيطان من الصبيّ المصاب بالصرَع (٩: ١٤-٢٩) واللقاء ببرطيماوس (١٠: ٤٦-٥٢) يختمان رسالة الشفاء. وبعكس متّى ولوقا، لا يُشير مرقس إلى أيّ معجزة في أورشليم، مكان العداوة بامتياز تجاه يسوع.

وبالمُحصّلة، يلتقي يسوع بصبيّ وعشرة رجال (منهم وثنيّان)، بالإضافة إلى صبيّة وثلاث نساء (منهنّ وثنيّتان). ويُثبت مرقس تميّزه في الروايتَيْن الخاصّتَيْن به، شفاء أصمّ - أخرس في المدن العشر (٧: ٣١-٣٧) وأعمى بيت صيدا (٨: ٢٢-٢٦). لهذا السبب سنتوقّف لدراسة الرواية الثانية (أعمى بيت صيدا).

ولكن قبل ذلك، سنحاول تحديد مسار عمل مرقس بمقارنة الرواية الافتتاحيّة، وهي طرد الروح النجِس من رجل في مجمع كفرناحوم (١ : ٢١-٢٨)، بالرواية النهائيّة لشفاء الأعمى عند خروجه من أريحا (١٠: ٤٦-٥٢).

اللقاءات الأولى والأخيرة

تسمح لنا قراءة أوّليّة بأن نلمس بعض نقاط العَلّام في المفردات المستخدمة: أوّلًا، التعبير «**يسوع الناصريّ**» (١ : ٢٤؛ ١٠ : ٤٧) الذي لا نجده في أيّ مقطع آخر ما بين مر ١ ومر ١٠ (راجع النصّ ضمن الإطار)؛ ثمّ الفعل «انتهره» (Epitimaô)، ١ : ٢٥ و١٠: ٤٨؛ المذكور تسع مرّات عند مرقس)؛ الفعل اليونانيّ Phoneô الذي تفسيره «صرخ» (١ : ٢٦) و«صاح» (١٠: ٤٩)؛ وأخيرًا ظرف الزمان «ما إن» (Euthus) الذي يستعمله مرقس كثيرًا: يتكرّر ثلاث مرّات في حدَث الممسوس (١: ٢١. ٢٣. ٢٨)، مُبرِزًا مفعول قدرة يسوع الشفائيّة الفوريّ (١ : ٢٨؛ ١٠ : ٥١).

طرد الشيطان وشفاء: إلى جانب نقاط التماس اللغويّة هذه، يبدو لنا، عند قراءة النصوص قراءةً أولى، أنّ كلّ شيء يفصل

مر ١: ٢١-٢٨	مر ١٠: ٤٦-٥٢
[٢١] ودخلوا كفرناحوم. وما إن أتى السبت حتّى دخل المجمع وأخذ يعلّم. [٢٢] فأُعجِبوا بتعليمه، لأنّه كان يُعلّم كمَن له سلطان، لا مثل الكتبة.	[٤٦] ووصلوا إلى أريحا. وبينما هو خارجٌ من أريحا، ومعه تلاميذه وجمعٌ كثير.
[٢٣] وكان في مجمعهم رجل فيه روح نجِس، فصاح: [٢٤] «ما لنا ولكَ **يا يسوع الناصريّ؟** أجئتَ لتُهلكنا؟ أنا أعرف مَن أنتَ: أنتَ قدّوس الله».	كان ابن طيماوس (برطيماوس)، وهو شحاذٌ أعمى، جالسًا على جانب الطريق. [٤٧] فلمّا سمع بأنّه **يسوع الناصريّ**، أخذ يصيح: «رُحماكَ يا ابن داوُد، يا يسوع!»
[٢٥] فانتهره يسوع وقال: «إخرَس واخرُج منهُ!» [٢٦] فخبَطهُ الروح النجِس، **وصرخ** صرخةً شديدة (phoneô)،	[٤٨] فانتهرهُ أُناسٌ كثيرون ليسكُت، فصاح أشدّ الصياح: «رحماك يا ابن داوُد!» [٤٩] فوقف يسوع وقال: «**أُدعوهُ**» (phoneô). **فدعوا** الأعمى قالوا لهُ: «تشدَّد وقُم فإنه **يدعوكَ!**». [٥٠] فألقى عنه رداءهُ ووثب وجاء إلى يسوع. [٥١] فقال له يسوع: «ماذا تُريد أن أصنع لكَ؟» قال له الأعمى: «رابوني، أن أُبصِر».
وخرج منه.	[٥٢] فقال له يسوع: «إذهب! إيمانُكَ خلّصَكَ». فأبصر من وقته،
[٢٧] فدُهشوا جميعًا حتّى أخذوا يتساءلون: «ما هذا؟ إنّه لتعليم جديد يُلقى بسلطان! حتّى الأرواح النجِسة يأمرها فتطيعه». [٢٨] وذاع ذكرهُ لوقته في كلّ مكان من ناحية الجليل بأسرها.	وتبِعهُ في الطريق.

بين هذَيْن النصَّين اللذَين لا ينتميان تمامًا إلى النمط الأدبيّ نفسه.

النصّ الأوّل يروي طرد الشيطان؛ إنّه لقاء ثلاثيّ بين يسوع، والرجل الممسوس المجهول الاسم، وروحٍ نجِس (شخص منفصل تمامًا؛ يتكلّم ويتصرّف ١: ٢٣-٢٦). الآيات ٢٣-٢٦ هي لُبّ الرواية لأنّها تصِف المواجهة بين الروح النجِس ويسوع. والحضور في المجمع يوم السبت هذا هم شهود على العمل الأوّل في رسالة يسوع، ويُشير إليهم النصّ بكلمة «**جميعًا**».

الثاني هو رواية شفاء، وهو الثاني في الإنجيل الذي يتكلّم على أعمى؛ وشخصيّات الرواية هي يسوع، والأعمى، والتلاميذ، والجمع. وفي

منتصف الرواية هناك لقاء وجهًا لوجه بين يسوع والعاجز (١٠ : ٥٠-٥١).

تدور أحداث الأوّل داخل نطاق المجمع وهو مكان للتعليم بامتياز. فبداية الرواية ونهايتها تؤكّدان هذا الجانب من رسالة يسوع. وعمل يسوع لطرد الشيطان هو جزء لا يتجزّأ من تعليمه كما يؤكِّدُه ردّ فعل الشهود: «**إنّه لتعليم جديد، حتّى الأرواح النجِسة يأمرها فتطيعهُ**» (١ : ٢٧).

أمّا أحداث الثاني فتدور في الخارج، عند خروجه من أريحا.

تعبير المتألّمين عن مشاعرهم: الرجل الممسوس مجهول الاسم. إنّه لا يسيطر على نفسه؛ ويخاطب يسوع بصيغة الجمع: «**ما لنا ولكَ!**» إنّه يُعلن عن هويّة يسوع مرغمًا. وعندما يتمّ الخلاص، يختفي من دون أن يُصرَف. إنّه يتوارى خلف ردّ فعل الحضور. ويمكننا الكلام هنا على شخص غير واضح المعالم، ما عدا أنّه، رغمًا عنه، يعترف بأنّ يسوع هو رجل لا مثيل له.

وبالعكس، فإنّ أعمى أريحا شخصٌ واضح المعالم: له اسم، «**برطيماوس، ابن طيماوس**»، ووضعيّة اجتماعيّة: شحّاذ. إنّه نشيط (يجلس، يصيح، ينهض، يثِب، يُلقي برداثه، يأتي إلى يسوع، يكلِّمه ويتبعه). إنّه يبادر بالكلام على نفسه ثلاث مرّات: «**إرحمني**» (مرّتين: ١٠ : ٤٧، ٤٨)، «**أن أُبصِر**» (١٠ : ٥١). إنّه أوّل شخص يُعلن على الملأ هويّة يسوع بصفته «**ابن داوُد**» ويناديه أيضًا «**رابوني**»، متخطّيًا عتبة الحميميّة المخصّصة عادةً للتلاميذ الذين يستعملون عبارة «**رابي**» (مر ٩ : ٢؛ ١١ : ٢١؛ ١٤ : ٤٥).

في مجمع كفرناحوم كما على طريق أريحا، الموضوع يخصّ دومًا هويّة يسوع، الناصريّ، «**قدّوس الله**» (١ : ٢٤) أو «**ابن داوُد**» (١٠ : ٤٧).

«يسوع!»

نادرة هي الشخصيّات الإنجيليّة التي تخاطب يسوع مستعملةً اسمه. وحده اللصّ المصلوب يناديه هكذا: «**أُذكرني يا يسوع إذا ما جئتَ في ملكوتكَ!**» (لو ٢٣ : ٤٠). في المواضع الأخرى يُخاطَب يسوع باسمه مُرفقًا باسم بلدته أو أحد الألقاب: «**يسوع الناصريّ**» (مر ١ : ٢٤)، «**يسوع، ابن الله العلي**»: (مر ٥ : ٧؛ لو ٨ : ٢٨)، «**يسوع، ابن داوُد**» (مر ١٠ : ٤٧؛ لو ١٨ : ٣٨)، «**المعلّم يسوع**» (لو ١٧ : ١٣). ولا يدعو إنجيل متّى «**يسوع**» باسمه أبدًا. وخلافًا لبرطيماوس، يناديه أعميا أريحا بقولهما: «**يا رب، يا ابن داوُد**» (متّى ٢٠ : ٣٠، ٣١).

موقف يسوع: إنّ سياق الروايتين مختلف تمامًا: في المجمع، يفتتح يسوع رسالته بالتعليم؛ وفي أريحا، كان في طريقه إلى أورشليم.

في كفرناحوم، «**ينتهر**» يسوع للمرّة الأولى كي يفرض الصمت. لدينا هنا محطّة أولى في مسيرة الكشف عن هويّته. في مر ١: ٣٤، سيفرض على الشياطين الصمت، وفي ٣: ١٢ سينتهرهم لأنّهم كانوا سيكشفون مَن هو. وفي وقتٍ لاحق، يجد التلاميذ أنّه ينهاهم هم أيضًا عن الكلام (٨: ٣٠؛ ٩: ٩).

في أريحا لم يعُد يسوع هو الذي «**ينتهِر**»، بل الشعب والجمع (١٠: ٤٨). هل انعكست الأدوار؟ إنّ يسوع يقبل الآن إعلان هويّته، والّذين يحاولون إسكات برطيماوس يُمنَعون عن فعل ذلك. ويتوقّف يسوع (وهي المرّة الأولى في رواية مرقس - كما هو الحال أيضًا في متّى - ولذلك فالأمر مهم، لأنّ يسوع في إنجيل مرقس دائم التحرّك). إنّه يطلب أن ينادوا برطيماوس، فينتقل المحيطون به من الانتهار إلى التشجيع (١٠: ٤٩). يُعطي يسوع الكلام مَن أرادوا إسكاته: «**ماذا تريد أن أصنع لكَ؟**». ويعيد إليه بصَرهُ مُعلِنًا أنّ «**إيمانه**» هو الذي خلّصهُ. فالتعبير بطريقة فريدة، على الرغم من ضغط الجمع، يجعل الإيمان يكتمل في السير فعلًا خلف يسوع (١٠: ٥١). هذا الطريق، المذكور في بداية المقطع ونهايته (١٠: ٤٦. ٥١)، هو الذي كشف فيه يسوع لخاصّته عن مصيره، مصير المسيح المتألّم (١٠: ٣٢). طريق يوصل إلى الجلجلة.

برطيماوس التلميذ: إنّ المقارنة بين الرواية الأولى والأخيرة تسمح لنا بتأكيد أنّ برطيماوس، آخر مريض نال الشفاء، ينفصل عن كلّ الشخصيّات الثانويّة في الإنجيل - ولعلّ هذا هو السبب في إعطائه اسمًا.

إنّ يسوع الذي حاول دومًا أن يصون سرّ هويّته، يدعه هنا يُعلن لقب «**ابن داوُد**». لا شكّ في أنّ هذه التسمية لا تشمل كامل سرّ المسيح المتألّم، وفي وقت لاحقٍ سيُبدي نوعًا من التراجع عن هذا الموقف (١٢: ٣٦-٣٧). ومع ذلك فقد رفع برطيماوس طرف السِتار. ومن سخريّة الأقدار أنّ أعمى هو الذي أظهر بصيرة حين أعلن عن هويّة يسوع في حين أبدى التلاميذ عدم فهمهم: فابنا زبدى لم يعلما ما يطلبانه من يسوع عندما أرادا الجلوس عن يمينه ويساره (١٠: ٣٧). يكفي أن نضع أمامنا صورة «**ابني زبدى**» اللذَين يطلبان مكانة، و«**ابن الإنسان**» الذي أتى ليخدم ويفدي بنفسه جماعة البشر (١٠: ٤٥)، و«**ابن طيماوس**» الذي

يُعلن إيمانه «**بابن داوُد**».

عندما دعاه، وثب الأعمى، «**وألقى عنه رداءه**» مثلما ترك الرسل الأوّلون شباكهم (١ : ١٨). هل نحن أمام رواية تخصّ الدعوة؟ بالتّأكيد لا، لأنّ الفعل المترجم بكلمة «**يدعو**» ليس Kaleô (وهو علامة الاختيار را. ١ : ٢٠)، بل «اصرخوا له» (Phoneô). وأيضًا، إذا كان يسوع قد دعا برطيماوس، وسمح له بالكلام وأعاد إليه بصره، فإنّه صرفه بعد ذلك: «**إذهب! إيمانك خلّصكَ**» (١٠ : ٥١): لكنّ المفارقة هي أنّ برطيماوس تبعه في الطريق بعد أن شُفيَ وأصبح حرًّا... وإذا قارنّاه بالرجل الممسوس في كفرناحوم الذي أنذره بالتزام الصمت (١ : ٢٥) أو بالممسوس عند الجِراسيّين الذي لم يأذن له يسوع أن يتبعه (٥ : ١٩-٢٠)، نجد أنّ هذا الشخص قد مُنِحَ امتيازًا خاصًّا! وهكذا ينتهي اللقاء بطريقة فريدة، وهي تختلف على كلّ حال عن اللقاء بأعمى آخر في بيت صيدا.

وصف أعمى بيت صيدا (مر ٨: ٢٢-٢٦)

تتمّ أحداث هذه الرواية بعد رحلة بحريّة طويلة حول بحر الجليل. منذ أوّل تكثيرٍ للخبز ويسوع يتوجّه مع تلاميذه نحو بيت صيدا (مر ٦ : ٤٥). لقد التقّوا في

تقديم: [٢٢] ووصلوا إلى بيت صيدا فأتوه **بأعمى**، وسألوه أن يضع يديه عليه.
خطوات الشفاء الأولى: [٢٣] فأخذ بيد **الأعمى**، وقادهُ إلى خارج **القرية**؛ ثم تفَلَ في عينيه، **ووضع يديه عليه**، وسأله: «أتُبصر (Blepeis) شيئًا؟» [٢٤] ففتح عينيه (Anablepsas) وقال: «أُبصِر (Blepô) الناس فأراهم كأنّهم أشجار وهم يمشون».
خطوة الشفاء الثانية: [٢٥] **فوضع يديه** ثانيةً على عينيه، **فأبصَر وعاد صحيحًا** (Eneblepen) **يرى** كلّ شيء واضحًا.
إنصراف: فأرسله إلى بيته وقال له: «حتّى **القرية** لا تدخلها».

طريقهم من جهة منطقة الوثنيّين (٧: ٢٤-٣١؛ ٨-١٠)، وها هم يصلون إلى هدفهم. وقد نال الرسل اللوم في هذه الرحلة، لعدم فهمهم: «**ألم تفهموا حتّى الآن**» (٨: ٢١)؟ عندئذٍ تتتالى روايتان: شفاء أعمى (٨: ٢٢-٢٦) وشهادة بطرس بأنّ يسوع هو المسيح (٨: ٢٧-٣٠).

شفاء تدريجيّ: يُعطينا الجدول السابق مراحل لقاء يسوع الأوّل هذا بالأعمى.

إنّه شفاء على مرحلتين. مفردات الكلمات المستخدمة التي تخصّ البَصَر تُستعمَلُ من خلال الفعل «نظَرَ» (Blepô) وتصريفاته. فالمريض الذي يعالجه الطبيب مدعوّ إلى أن يقول بنفسه ما يُبصِره (٨: ٢٤). إنّه النصّ الإنجيليّ الوحيد الذي تبدو فيه فعّاليّة عمل يسوع ضعيفة. فعبارة «في الحين»، التي تُشير عادةً إلى سرعة الشفاء، استُبدِلَت بها كلمة «ثانيةً» (٨: ٢٥). غير أنّ يسوع يبقى سيّد الموقف؛ وكأنّه عرف أنّ الأعمى لم ينل الشفاء تمامًا، ولذلك يعود ويسأله. ويقوم بحركاتٍ غريبة لشخصٍ يمارس الأشفية كما فعل سابقًا مع الأصمّ - الأخرس (٧: ٣١-٣٧). وقد تجنّب متّى ولوقا ذكر هذين المشهدين. فاستعمال اللعاب مُستغرَب، ولكنّه يقابل ما نجده في قصّة وثنيّة موازية، وهي معجزة تُنسَب إلى الإمبراطور فسباسيانُس، رواها سويتون[1] Sutone.

الأعمى المجهول الاسم ويسوع: تصف الرواية وصول الأعمى التدريجيّ إلى الاستقلال الذاتيّ. في البداية (٨: ٢٢) هو واحد من الجمع الذي «**يحمله**» إلى يسوع، باعتباره جماعة غير محدّدة وغير نشطة (راجع النصّ ضمن الإطار). وينتقل بعد ذلك من أيدي هذا الجمع إلى يدَيْ يسوع الذي سيكون مُرشده حتّى خارج القرية وبعد ذلك طبيبه. عندما أعاد إليه يسوع بصَرَهُ، أعاد إليه القدرة على الكلام أيضًا (٨: ٢٤)، وكان جوابه حينئذٍ أهوجَ وغير دقيق كالبصر الذي استعاده... ونجحت محاولة يسوع الثانية، والنصيحة بعدم العودة إلى القرية قد تكون لتجنُّب إعادته إلى الجماعة التي كان يعتمد عليها، بالإضافة إلى ضمان كتمان أمر يسوع الذي تورّط بهذه العلاقة قلبًا وقالبًا، حتّى إنّه تبنّى ممارسات المعالجين الوثنيّين.

الأعمى المجهول الاسم والتلاميذ:

(١) Dans sa *Vies des douze Césars, Vespasien, 7*, et chez Tacite, *Histoires* IV, 81; voir «Récits de miracles en milieu juif et païen», Suppl. au *C.E.* nº 66 (1988), p. 51-52.

يمكننا أن نعتبر برطيماوس صورة نموذجيّة للمؤمن. ولكن ما الذي نقوله عن أعمى بيت صيدا؟ لا شكّ في أنّ الرواية تكشف لنا مدى تأثّر يسوع بالمعاناة البشريّة. والرواية تعترف ضمنيًّا بجهود أولئك الذين قادوا الأعمى إلى يسوع (وهو ما كان واضحًا في الّذين حملوا مُقعد كفرناحوم، مر ٢ : ٥). ولكن علينا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، ونربط عمى رجل بيت صيدا بعمى التلاميذ.

لقد أدان يسوع لتوّه قلّة فهم تلاميذه أمام معجزات تكثير الخبز وقال لهم: «**ألكُم عيون ولا تُبصرون؟**» (٨: ١٨، اقتباس من إرميا ٥: ٢١). علاوةً على ذلك، فإنّ هذا الشفاء على مرحلتين يتوافق مع الوحي بسرّ يسوع، كما سيحدث لاحقًا في إنجيل مرقس: في المرحلة الأولى سيعترف بطرس بأنّ يسوع هو المسيح (مر ٨: ٢٩)، والمرحلة الثانية - وقبولها أصعب - هي أنّ على هذا المسيح نفسه، الملقّب «**ابن الإنسان**»، أن يتألّم، ويموت، ويقوم (٨: ٣١). على القارئ أن يقرّ أيضًا بأنّ يسوع أوّلًا هو المسيح (مع بطرس ٨: ٢٩)، وأن يعترف بعد ذلك بأنّه ابن الله (مع قائد المئة الرومانيّ أمام الصليب، ١٥: ١٩). إنّ قصّة الأعمى المجهول الاسم في بيت صيدا تبدو وكأنّها مثَل يتكلّم على الطريق الذي ينبغي للتلاميذ أن يسيروا فيه لو أرادوا حقًّا أن «يروا بوضوح». فيسوع وحده قادر على أن يُخرجهم من عماهم، ولذلك يحثّ بطرس على الكلام كما يُلِحُّ على

صيغة الجمع غير المحدّدة عند مرقس

عند استخدامنا الضمير غير المحدّد «On» بالفرنسيّة، فإنّ يونانيّة العهد القديم واللاتينيّة تلجأ إلى استخدام صيغة الضمير الغائب للجمع. وتتكرّر الصيغة غير الشخصيّة هذه ٢٢ مرّة في مرقس.

مر ١: ٣٢؛ ٢: ٣؛ ٦: ٥٥؛ ٧: ٣٢؛ ٨: ٢٢؛ ٩: ٢٠؛ ١٠: ١٣ تمثّل انطلاقة لحالات متماثلة: مجموعة غير محدّدة، تأتي (أو يأتون) بشخصٍ مريض إلى يسوع. لا ينبغي أن نمرّ بسرعة بجانب هؤلاء الأشخاص المجهولين الذين يحملون المريض، والذين يبذلون أحيانًا جهودًا جبّارة من أجل ذلك (مر ٦: ٥٥-٥٦). وهنا يتمّ التعبير عن تضامنٍ بدون كلامٍ بل بأفعال، لا يمكن أن يستفيد منها المرضى النجِسون (بعض الممسوسين، البرص، المرأة المنزوفة). وفي أكثر من مرّة يتوسّل الحاملون من أجل المريض: «سألوه أن يضع يديه عليه» (٧: ٣٢)، «وسألوه أن يلمسه» (٨: ٢٢).

الأعمى ليتكلّم. أمّا قصّة برطيماوس فهي رواية نموذجيّة للموقف الذي يجب اختياره عندما يرى التلميذ، أخيرًا، الأمور بوضوح.

وتظهر في الروايتين قدرة يسوع الدائمة على الاستقبال الذي يشفي بتقديم الكلمة لكلّ إنسان وبدون أن يطلب شيئًا بالمقابل. خارج قرية بيت صيدا الجليليّة (٨ : ٢٣) أو عند خروجه من أريحا (١٠ : ٤٦)، كلّ لقاء هو فريد من نوعه ومثاليّ لكلّ مَن يتبع يسوع.

متّى: من الأبرص إلى الأعميَيْن

ينبغي أن نُلقي في البداية نظرة شاملة على مُجمل أعمال يسوع الشافي في إنجيل متّى وذلك بفضل الجدول التالي:

خلافًا لمرقس ولوقا، يبدأ متّى بذكر

متّى ٤ : ٢٣-٢٥ موجز رقم ١	في الجليل، أوّل إشارة إلىَ يسوع الشافي من «**كلّ مرض وعِلّة**» (متّى ٤ : ٢٣)
متّى ٨-٩ : عشر روايات لمعجزات	
متّى ٨ : ١-٤	الأبرص، أوّل مريض يلتقيه يسوع، أوّل حركة من يده.
متّى ٨ : ٥-١٣	قائد المئة، أوّل وثنيّ، شفاء عن بُعد.
متّى ٨ : ١٤-١٥	حماة بطرس، أوّل امرأة.
متّى ٨ : ١٦-١٧ موجز رقم ٢	يسوع يشفي «**جميع المرضى**». إستشهاد بإتمام ما قيل (أشعيا ٥٣ : ٤)
(متّى ٨ : ٢٣-٢٧) متّى ٨ : ٢٨-٣٤	(تسكين العاصفة) الرجلان الممسوسان عند الجدريّين، الرحلة الأولى إلى بلاد الوثنيّن، أوّل «ثُنائيّ» من المرضى.
متّى ٩ : ١-٨	المُقعَد، أوّل ظهور لخصوم يسوع، أوّل هتاف من الجمع.
متّى ٩ : ١٨-١٩؛ ٢٣-٢٦	إحياء ابنة أحد الوجهاء.
متّى ٩ : ٢٠-٢٢	شفاء المنزوفة (لمسَت يسوع).
متّى ٩ : ٢٧-٣١	شفاء أوّل أعميَيْن.
متّى ٩ : ٣٣-٣٤	أوّل رواية عن طرد للشياطين: الأخرس الممسوس.

متّى ٩: ٣٥-٣٧ موجز رقم ٣	يسوع يشفي «**من كلّ مرض وعلّة**» (متّى ٩: ٣٥). «**أخذته الشفقة على الجموع لأنّهم كانوا كغنم من غير راعٍ**» (را حز ٣٤: ٥؛ زك ١٠: ٢)
متّى ١٢: ٩-١٤	رجل يده مشلولة: قرار بإهلاك يسوع.
متّى ١٢: ١٥-٢١ موجز رقم ٤	«**يسوع شفاهم جميعًا**» استشهاد بإتمام ما قاله أشعيا (٤٢: ١-٤)
متّى ١٢: ٢٢-٢٣	طرد الشيطان من رجل ممسوس أعمى أخرس.
متّى ١٤: ٣٤-٣٦ موجز رقم ٥	«**أتوه بجميع المرضى**».
متّى ١٥: ٢١-٢٨	الكنعانيّة، امرأة ووثنيّة.
متّى ١٥: ٢٩-٣١ موجز رقم ٦	لائحة بجميع الأمراض التي شفاها يسوع: عُرج، عميان، كُسحان، صُمّ (المرجع أش ٣٥: ٥-٦)
متّى ١٧: ١٤-٢٠	صبيّ مُصاب بالصرَع، آخر طرد للشيطان.
متّى ٢٠: ٢٩-٣٤	في أريحا، آخر أعميَيْن.
متّى ٢١: ١٤ موجز رقم ٧	في الهيكل، آخر أشفية لعميان وعُرج.

الشفاءات الجماعيّة قبل أن يهتمّ باللقاءات الفرديّة. وهذا ما جعلنا نحصل على السبع «موجزات»، أو ملخّصات لهذه الأعمال. ويؤكّد متّى قدرة يسوع الشفائيّة، سواء باستعماله عبارة «جميع»، أو بلائحة الأمراض (وتصل إلى أربعة في متّى ١٥: ٢٩-٣١). إنّ إعادة تجميع عشر روايات لمعجزاتٍ في متّى ٨-٩ هو لتعزيز التركيز على يسوع الشافي: يتكرّر الفعل «يشفي» ستّ عشرة مرّة على مدار الإنجيل. فعمل الشفاء هو جزءٌ لا يتجزّأ من الجوانب الأخرى للخدمة المذكورة في الموجز الأوّل: التعليم وإعلان البشارة بالملكوت (٤: ٢٣).

إنّ المسار الذي رسمه متّى ليس بدون فائدة: يبدأ عمل يسوع الشافي في الجليل لينتهي في الهيكل. نقطة الانطلاق هي الجليل، مُلتقى الأمم (٤: ١٣-١٦)؛ والنهاية في الهيكل الذي سيصبح بعد أن يتطهّر مكانًا للشفاءات - وهي آخر أعمال يسوع (٢١: ١٤).

إنّ روايات اللقاءات بأشخاص مرضى هي جزء من ديناميّة تذهب من الجماعيّ إلى الفرديّ. وبين الفرديّ والجماعيّ، يبدو أنّ إنجيل متّى يراعي وجود مرحلةٍ وسيطة بين المجموعتَيْن: ممسوسَين في أرضٍ وثنيّة (٨: ٢٨-٣٤)، أعميَيْن في مكانٍ ما بالجليل (٩: ٢٧-٣١) ثمّ في أريحا (٢٠: ٢٩-٣٤)؛ في حين نجد لدى مرقس ولوقا شخصيّة واحدة. وسنتساءل في نصوصٍ لاحقة عن معنى تكرار هذه الشخصيّات.

تبدأ خدمة الشفاء التي يقوم بها يسوع بثلاثة لقاءات بأشخاص هم نوعًا ما على هامش المجتمع اليهوديّ: أبرص ووثنيّ وامرأة. وكما في مرقس، إنّها لقاءات متنوّعة: ثلاث نساء، أربعة عشر رجلًا وصبيّ؛ بينهم ثلاثة وثنيّين ووثنيّة. وجميعهم مجهولو الاسم.

اللقاءات الأولى والأخيرة

يكشف الجدول المذكور لاحقًا عن خطٍّ مشترك لجميع روايات الشفاء بحسب متّى:

١- تنقّلات يسوع والجموع التي تتبعه؛ ٢- يقترب من يسوع مريض (أو مرضى) ويتوجّه (أو يتوجّهون) إليه بطلب؛ ٣- حوار؛ ٤- عمل شفاء يشترك فيه الكلام مع حركة منه؛ ٥- نتائج.

هذه اللوحة منسوجة بعناصر نمطيّة تخصّ متّى: صيغة تمهيديّة «وبينما»، فعل «يتبع» و«يلمس»، لقب «يا ربّ» (Kurios الذي يتكرّر على لسان الرسل أو مَن يتوسّلون إليه)؛ بالإضافة إلى أنّ سرعة تلاشي وجود الجمع قد تكون أكثر ممّا في نصوص مرقس ولوقا، لصالح لقاءٍ وجهًا لوجه بين يسوع والشخص المتقدّم إليه بطلب.

اللقاء بالأبرص: كما فعل موسى سابقًا، ينزل يسوع من الجبل بعد أن سنَّ الشريعة الجديدة (متّى ٥-٧). وقد يُذكّرنا اللقاء بالأبرص بشفاعة موسى من أجل أخته مريم (عد ١٢: ١٢-١٥). ويتمّ ذكر موسى صراحةً في التوصية النهائيّة بخصوص القربان الذي ينبغي تقدمته إلى الكاهن؛ وينتهي هذا الحدَث هنا، في حين يُعطي مرقس ولوقا الكلام لمَن شُفيَ، وعدم كتمانه لشفائه واتّساع شهرة المعلّم (مر ٢: ٤٥؛ لو ٥: ١٥-١٦). تؤكّد المعجزة الأولى هذه إذًا ما عبّر عنه يسوع وعن معنى رسالته في إسرائيل: «**لا تظنّوا أنّي جئتُ لأُبطل الشريعة (موسى) والأنبياء (...) بل لأُكمل**» (متّى ٥: ١٧).

ما الذي سنقوله عن الأبرص المجهول الاسم؟ لقد حُدِّدَت هويّته بمرضه. إنّه «**يجثو**» مثل المجوس في وقتٍ سابق (٢:

٢-١١)، وهو موقف إيمان يعترف بربوبيّة يسوع، عدا أنّه أوّل شخص يتوجّه إلى يسوع بعبارة «**يا ربّ**»، وهو لقب يستعمله التلاميذ الحقيقيّون والّذين يتوسّلون، أمّا الآخرون فيدعونه «**يا معلّم**» (را ٨: ١ أو ٩: ١١). يضع الأبرص نفسه رهن إرادة يسوع الصالحة: «**إذا شِئتَ...**»، وهذا أيضًا موقفٌ خاصّ بالتلميذ (١٧: ٤؛ ٢٦: ١٧). ولم يرد في مكانٍ آخر جوابٌ قدّمه يسوع بهذا الشكل القاطع: «**قد شئتُ**». وسبقت حركةٌ من يده كلامَه (راجع أيضًا النصّ ضمن الإطار)، وهذا يبيّن قدرة يسوع التي تتخطّى حاجز النجاسة؛ فالمفعول فوريّ. في اللقاء الأوّل هذا بالمرض، أوّل شفاء، يلتزم يسوع بكلّيّته، جسدًا وكلمة.

أعمَيا أريحا: يؤشّر اللقاء بأعمى أريحا عند مرقس ولوقا إلى نهاية رسالة يسوع العلنيّة في الشفاء. وليس هذا هو الحال عند متّى الذي يذكر شفاءات أخيرة

الأبرص (متّى ٨: ١-٤)	**أعميا أريحا (متّى ٢٠: ٢٩-٣٤)**
[١] ولمّا نزل من الجبل، **تبعته جموع كثيرة**.	[٢٩] وبينما هم خارجون من أريحا، **تبعه جمعٌ كثير**.
[٢] وإذا أبرص يدنو منه.	[٣٠] وإذا أعميان جالسان على جانب الطريق، فلمّا سمعا أنّ يسوع مارٌّ من هناك صاحا: «رُحماك يا ربّ، يا ابن داوُد!» [٣١] فانتهرهما الجمع ليسكتا، فصاحا أشدّ الصياح: «رُحماك با ربّ، يا ابن داوُد». [٣٢] فوقف
فيسجد له ويقول: «يا ربّ، إذا شئتَ فأنتَ قادر على أن تُبرئني».	يسوع ودعاهما وقال: «ماذا تُريدان أن أصنع لكما؟»، [٣٣] قالا له «يا ربّ، أن تُفتَح أعيننا».
[٣] فمدَّ يسوع يده **فلمسه** وقال: «قد شئتُ فابرأ! فبرئ من مرضه لوقته». [٤] فقال له يسوع: «إيّاك أن تُخبر أحدًا بالأمر، بل اذهب إلى الكاهن فأرِهِ نفسك، ثم قرِّب ما أمر به موسى من قربان، شهادةً لديهم».	[٣٤] فأشفق يسوع عليهما، ولمس أعينهما فأبصرا لوقتهما. وتبعاه

في الهيكل (متّى ٢١: ١٤). ومع ذلك يُعتبر هذا الحدَث نقطة نهاية، بمعنى أنّه لا يحدثُ بعد ذلك أيّ لقاء شخصيّ بين يسوع وأشخاص متألّمين.

ويبدو أنّ هذه الرواية تندرج مع دعوة الرسل الأوائل الذين تمّت تسميتهم كلّ اثنين معًا: بطرس وأندراوس (٤: ٢١-٢٢)، ثمّ ابني زبدى (٤: ٢١-٢٢). في المقطع الذي يسبق، يقدّم متّى أُمّ هذين الأخيرين (٢٠: ٢٠-٢٣)، ويطرح عليها يسوع السؤال نفسَه الذي يطرحه على الأعميَيْن: «**ماذا تُريدين؟**» // «**ماذا تُريدان أن أصنع لكما؟**» (٢٠: ٢١-٣٢). إنّ ابني زبدى، عند نهاية طريق البشارة بالإنجيل، - غارقَين بأوهامهما في الرغبة بالمجد - يمرّان إلى جانب سرّ الخادم المتألّم (٢٠: ٢٨)، في حين «يتبع» أعميان مجهولان يسوع بإصرار.

لفعل «يتبع» عند متّى معنًى قويّ (راجع النصّ ضمن الإطار). إنّه يتكرّر هنا مرّتين؛ في البداية بشأن الجموع (آية ٢٩)؛ وفي النهاية بشأن الأعميَيْن (آية ٣٤)، لكنّه لا يحمل الصدى نفسه. الجموع تتبع رجلًا يتمتّع بشعبيّة واسعة، لكنّ الرواية تُبعدهم بسرعة، لأنّهم يشكّلون عائقًا أمام اللقاء الشخصيّ بيسوع. فالأعميان اللذان يناديان يسوع «**بابن داوُد**» ويتوسّلانه «**يا ربّ**» هما نموذج للإنسان المؤمن على مثال الأبرص. وكأنّ هناك عنصرًا ثابتًا في إنجيل متّى يمكننا التحقّق منه بالمقارنة بين الروايتَيْن.

موقف يسوع: كما في مرقس، هناك أمرٌ فريد في اللقاء الأخير هذا: إنّها المرّة الأولى التي يتوقّف فيها يسوع (٢٠: ٣٢). إنّ سؤاله للأعميَيْن «**ماذا تريدان أن أصنع لكما؟**» يردّد صدى كلمة الشفاء التي قالها للأبرص: «**قد شئتُ، فابرأ**» (٨: ٣)؛ إنّ مَن يقول «أُريد»، وهي عبارة ثاقبة، قادرٌ على أن يسأل «ماذا

يد يسوع بحسب متّى

كانت يد موسى علامة سلطان (خر ١٤: ٢١-٢٧). ويسوع «**يمدُّ يده**» مثل موسى ليلمس الأبرص (متّى ٨: ٣)، ليُشير إلى أقربائه الحقيقيّين (١٢: ٤٩)، ليُمسك ببطرس الذي ابتدأ يغرق في الأمواج الهائجة (١٤: ٣١). وبحركة دينيّة «**يضع يديه**» على الأطفال ويُصلّي (١٩: ١٨؛ ١٩: ١٣-١٥). ويبيّن متّى مع مرقس ولوقا أنّ يسوع «**يأخذ**» بيد الصبيّة الميتة (٩: ٢٤؛ مر ٥: ٤١؛ لو ٨: ٥٤)، «**يلمس**» الأبرص (٨: ٣) ويد حماة بطرس (٨: ١٥) وأعين الأعميَين (٩: ٢٩؛ ٢٠: ٣٤)، وأيضًا تلاميذه عندما أفاقوا من الرؤيا على الجبل (١٧: ٧).

إتّباع يسوع بحسب متّى

يُستعمَل فعل «تبع» خمسًا وعشرين مرّة في متّى (١٨ مرّة في مرقس؛ ١٧ مرّة في لوقا) منها تسع مرّات في الفصول ٨ و٩. إنّه الإنجيليّ الوحيد الذي يذكر أنّ يسوع هو فاعل الفعل «تبع» بنصّ الأب الواقع في شدّة (٩: ١٩). في كلّ الحالات الأخرى، الناس هم الّذين يتبعون يسوع. عبارة «تتبعه الجموع» هي علامة على شعبيّته (٤: ٢٥؛ ٨: ١؛ ١٢: ١٥؛ ١٤: ١٣؛ ١٩: ٢؛٢٠: ٢٩: ٢١: ٩). في متّى ٩: ٢٧ يتبعه أعميان يطلبان الشفاء، أمّا في ٩: ٣٩ فيتبعانه بعد أن شُفيا (وفي الحالة الأخيرة هذه فإنّ وضعهما يشابه وضع التلاميذ). يدعو يسوع إلى اتّباعه كتلاميذ يشاركون في إعلان ملكوت السموات، ابتداءً من أوّل أربعة أشخاص دعاهم (٤: ٢٠-٢٢) ومن بعدهم متّى (٩: ٩) والرجل الغنيّ (١٩: ٢١) الذي تمّ وضعه أمام متطلّبات تمّ ذكرها في أماكن أخرى (متّى ٨: ٢٢؛ ٩: ٩: ١٠: ٣٨؛ ١٦: ٢٤: ١٩: ٢١-٢٨). ويتبع بطرس يسوع من بعيد، عندما أخذوه سجينًا إلى عظيم الكهنة (٢٦: ٥٨). وفي الجلجلة، وقفت النساء اللواتي تبعن يسوع من الجليل (٢٧: ٥٥).

تريد؟» – وذلك يعادل فعل إيمان. نشهد حينئذٍ هنا حركة الشفاء الأخيرة: لمس أعين المرضى (٢٠: ٣٤). إنّ سبب هذه الحركة هو «الشفقة»، اضطراب داخليّ يحرّك الأحشاء، تمّت الإشارة إليه سابقًا بخصوص الجموع (٩: ٣٦؛ ١٤: ١٤؛ ١٥: ٣٢)، وتتركّز الشفقة هنا على أفراد، وهي أحد آخر مواقف يسوع يُشير إليه متّى ليصف خصوصيّة رسالة يسوع.

إنّ المقارنة بين نصَّي الشفاء الأوّل والأخير قد تجعلنا نعتقد أنّ متّى يعمل بأسلوب التكرار: تتتابعُ الشخصيّات أمام يسوع الذيَ يبقى هو نفسه: الشافي والمخلّص الكلّيّ القدرة. وفي الواقع، فإنّ قراءة أشدّ انتباهًا تجعلنا نجد إشارات إلى تطوّرٍ ما. من جهة المتألّمين، فإنّ أعميَيْ أريحا هما الوحيدان اللذان تبعا يسوع بعد شفائهما؛ كما هو الحال في مرقس ولوقا. ومن جهة يسوع، فإنّ التّأكيد النهائيّ هو لـ«الشفقة» التي يشعر بها، وهذا ما لا يذكره مرقس ولوقا.

وفي الواقع، يمكننا فهم معاني هذا الحدَث بشكلٍ أفضل عندما نجعله على صلةٍ بنصّ شفاء الأعميَيْن الأوّلين (٩: ٢٧ -٣١).

وصف الأعميَيْن الأوّلَين (متّى ٩: ٢٧-٣١)

قد يعتقد القارئ أنّه أمام ثنائيّة للنصّ.

إنّه إجراء معروف نجده في الكثير من نصوص العهد القديم. وكما يكتب ر. ألتر R. Alter: «فيما قد يظهر لنا، للوهلة الأولى، وكأنّه تكرار كلمة بكلمة، نكتشف بعد ذلك أنّه صوَر أخرى مختلفة متحفّظة ولكنّها فاصلة. ويتمّ إدخال الكثير من مختلف الأساليب النفسيّة، الأخلاقيّة والدراميّة، في الرواية الكتابيّة من طريق هذا الأسلوب في السرد».

لقد حضّر متّى هذا المشهد منذ فترة طويلة. فقد وضع عبارة أشعيا ٩: ١ شعارًا للتبشير بملكوت السموات: «الشعب المقيم في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا...» (متّى ٤: ١٦). وبعد ذلك، يشير يسوع إلى يوحنّا المعمدان بعلامة مجيء الملكوت: «العميان يبصرون» (١١: ٤، إشارةً إلى عبارة أشعيا في ٣٥: ٥). ويقع بين هذَيْن النَّصَّين أوّل لقاء بأعميَيْن «بلحمهما ودمهما»، ممّا يُعطي تكملةَ ما جاء في الكتب وزنًا واقعيًّا.

ونجد مراحل روايات الشفاء كما وردت في متّى. يكفينا أن نُبرز منها ثلاث رئيسة:

- يحصل اللقاء في «**البيت**» بدون أيّ تفصيلٍ آخر. في متّى ٨-٩، هناك بيت

تنقّلات يسوع: [٢٧]ومضى **يسوع** في طريقه (خارجًا من هناك)،
موقفُ ضِيقٍ شديد: تبعه **أعميان** يصيحان قائلَيْن: «رحماك يا ابن داوُد». [٢٨] فلمّا دخل البيت دنا منه **الأعميان**.
حوار: فقال لهما **يسوع**: «أتؤمنان بأنّي قادر على ذلك؟» فقالا له: «نعم يا ربّ».
شفاء: [٢٩]فلمس **أعينهما** وقال: «فليكن لكما بحسب إيمانكما». [٣٠آ] فانفتحت **أعينهما**
نتيجة: [٣٠ب] فأنذرهما يسوع بلهجة شديدة قال: «إيّاكما أن يعلم أحد». [٣١]ولكنّهما خرجا فشهراه في تلك الأرض كلّها.

قائد المئة (٨: ٦-٨؛ الذي لا يدخله يسوع)، وبيت بطرس (٨: ١٤)، وبيت أحد الوجهاء، والد الفتاة التي ماتت (٩: ٢٣)؛ وهناك أيضًا البيت الذي تناول يسوع فيه الطعام مع جباة الضرائب والخطأة (٩: ١٠). ويبدو من سياق الكلام أنّه بيت متّى، لكنّ الصيغة التي تدلّ إلى مالكه تبقى غائبة. من المحتمل أن يكون هذا البيت هو «البيت نفسه» الذي دخله الأعميان وهما يتبعان يسوع. وقد حدث اللقاء في الداخل «وعلى انفراد»، في حين حصل اللقاء بالأعميَين الآخرين اللذَين كانا يطلبان يسوع في أريحا، في الخارج «وبشكلٍ علنيّ».

- إنّهما أوّل مَن يعترف بيسوع «**ابنَ داوُد**». وينضمّان إلى قارئ الإنجيل الذي يعرف منذ البداية أنّ يسوع هو «**ابنُ داوُد، ابن إبراهيم**» (١: ١). والحال، فإنّ هذا اللقب يقترن عند متّى مرارًا بموضوع العمى (راجع النصّ ضمن الإطار)، ممّا يُدخل بعض الالتباس حول الموضوع، لأنّ ذلك قد يُشير أيضًا إلى القدرة على طرد الشياطين المنسوبة إلى الملك سليمان ابن داوُد (راجع حك ٧: ٢٠). هل هذان الأعميان هما حقًّا نموذج للمؤمنين؟ لقد نشرا في الواقع خبر شفائهما المُثير بالرغم من منعهما عن القيام بذلك. وتلعب الرواية الإنجيليّة بعد ذلك لصالح أعميَيْ أريحا اللذَين ناشدا يسوع مرّتين، وتبعاه، لا لكي يشفيهما بل لأنّهما شُفيا!

- لمَ اثنان؟ يمكننا بالتأكيد أن نتخيّل أعميَين يسيران معًا لمساعدة أحدهما الآخر. إنّهما اثنان لكي «يصرخا» معًا (Krazô)، وهو فعل ظهر للمرّة الأولى في حدَث ممسوسَي الجدريّين (٨: ٢٩). إنّهما اثنان لكي يشهدا بحسب الشريعة، كما طلب منهما يسوع بنفسه (تث ١٩: ١٦؛ متّى ١٨: ١٦). وأخيرًا، أن يكونا اثنين يذكّرنا بالكنيسة المصلّية: «**إذا اتّفق اثنان منكم في الأرض على طلب أيّ حاجةٍ كانت، حصلا عليها من أبي الذي في السموات**» (١٨: ١٩). وهذه الكلمات من العظة حول الحياة الجماعيّة (متّى ١٨) نجدها هنا وكأنّها تحقّقت مُسبقًا. لعلّه لدينا هنا رسمٌ أوّليّ مُبسَّط للكنيسة. ومع ذلك، علينا أن نذهب من تصرُّف الأعميَين اللذَين تبعا يسوع «**إلى البيت**» إلى تصرُّف أعميي أريحا اللذَين تبعاه «**في الطريق**» إلى أورشليم. فمعنى فعل «**تبعَ**» يتوسّع، وهذان الأخيران يعطيان وحدهما صورة التلاميذ الحقيقيّين.

«إبن داوُد» بحسب متّى

التعبير **«ابن داوُد»** لقَبٌ خريستولوجيّ يأتي ذكره تسع مرّات. فمنذ البداية يُشار إلى يسوع بصفته **«ابن إبراهيم، ابن داوُد»** (متّى ١ : ١)؛ المولود في بيت لحم اليهوديّة، في مدينة داوُد (٢ : ٢ . ٦-٧). يُعلن الأعميان عن هذا اللقب للمرّة الأولى (٩ : ٢٧)، ويُعيد أعميا أريحا ذكره مرّة أخرى (٢٠ : ٣٠-٣١)، كما لو أنّ العميان يتمتّعون ببُعد نظرٍ خاصّ يدلّهم إلى هويّة يسوع!

تتمتّع الكنعانيّة الوثنيّة هي أيضًا ببعد النظر. فهي تخاطب يسوع مباشرةً طالبة منه أن يطرد الشيطان من ابنتها (١٥ : ٢٢). وقد يكون هناك صِلة بين هذا اللقب والقدرة على طرد الشيطان. في المشهد الذي يطرد فيه يسوع الشيطان من صبيّ أعمى - أخرس، فإنّ متّى هو الإنجيليّ الوحيد الذي يذكر سؤال الجموع: **«أتُرى هذا ابن داوُد؟»** (١٢ : ٢٣). والحال، حين قام يسوع بالأشفية الأخيرة للعميان والعُرج في الهيكل، كرّر الأطفال هتافات الظفَر **«هوشعنا لابن داوُد»** (متّى ٢١ : ٩؛ ١٤-١٥)، ممّا أثار استياء كبار الكهنة والكتبة؛ وسيتمّ وصف هؤلاء، بالإضافة إلى الفرّيسيّين، **«بالقادة العميان»** (٢٣ : ١٦-١٧). إنّ الرابط بين طرد الشيطان والنسب إلى داوُد تغطّيه عندئذٍ علّة العمى الذي يستطيع **«ابن داوُد»** أن يُشفي منه.

ومع ذلك، لنلاحظ أنّه في الجدال حول هويّة المسيح ابن داوُد (٢٢ : ٤١-٤٦)، يتحفّظ يسوع تجاه هذا اللقب.

لوقا: من كفرناحوم إلى أريحا

بالإضافة إلى الروايات التي تعرّفنا عليها سابقًا، والتي تسير بالتسلسل ذاته كما في مرقس، يقدّمُ لوقا أربع أُخَر خاصّة به: إحياء ابن أرملة نائين، ثمّ شفاء المرأة المنحنية الظهر، والمُصاب بالاستسقاء، والبرص العشرة. وتقع الشفاءات الثلاثة الأخيرة في الأقسام الكبرى الخاصّة بلوقا التي تتكلّم على صعوده إلى أورشليم (لو ٩ : ٥١-١٩ : ٤٨).

يلتقي يسوع بواحد وعشرين رجلًا، وصبيّ، وأربع نساء وفتاة؛ من بينهم رجل وثنيّ وآخر سامريّ. ويتّسع حجم نشاطه شافيًا من العلل وطاردًا للشياطين أكثر ممّا ورَدَ في مرقس. اللقاء الأوّل بمريض - ممسوس يحدث في مجمع كفرناحوم كما في مرقس، في حين يختم شفاء أعمى أريحا الجزء الأوّل من رسالته قبل صعوده إلى أورشليم. ومع ذلك، لا يمكن فهم عمل يسوع واقعيًّا إلّا في ضوء

المشهد الافتتاحيّ في الناصرة (لو ٤ : ١٦-٣٠).

ويضع يسوع نفسه في المجمع ببلدته، بحزم على خُطى النبيّ «**مسَحني لأُبشّر الفقراء (...) وللعميان عودة البصر إليهم**» (٤ : ٨). ويضع بعد ذلك كلّ لقاءاته تحت رعاية النبيَّين إيليّا وأليشع اللذَين أُرسِلا إلى أشخاصٍ وثنيّين (٤ : ٢٥-٢٧). فعلى مثال إيليّا، يُحيي ابن أرملة (٧ : ١١-١٧)؛ وعلى مثال أليشع، يشفي أبرصَ غريبًا (لو ١٧ : ١١-١٩).

علاوة على أنّ هذين المقطعين هما خاصّان بلوقا.

وسينتهي عمل يسوع الشافي في أورشليم. ففي آلامه، ولخادم عظيم الكهنة الذي جُرح في أثناء اشتباك، يُنجز يسوع آخر عمل شفاء، وهو البرهان المطلق على صلاحه الثابت (٢٢ : ٥١).

لو ٤ : ١٦-٣٠	يقدّم يسوع برنامجه في مجمع الناصرة: عودة البصَر إلى العميان، إلخ (٤ : ١٨-٢٠ - أش ٦١ : ١-٢). ذكر أشعيا وأليشع (٤ : ٢٥-٢٧).
لو ٤ : ٣١-٣٧	أوّل طرد للشيطان في مجمع كفرناحوم.
لو ٤ : ٣٨-٣٩	حماة بطرس. أوّل لقاء بامرأة وأوّل حركة من يده.
لو ٤ : ٤٠-٤١ موجز (لو ٥ : ١-١١ دعوة التلاميذ)	يسوع «يضع يديه على كلّ واحد منهم» (٤ : ٤٠ب).
لو ٥ : ١٢-١٦	إبراء الأبرص.
لو ٥ : ١٧-٢٦	المُقعد. أوّل ذكر لخصومه. أوّل هتاف من الشعب.
لو ٦ : ٦-١١	الرجل ذو اليد الشَلّاء.
لو ٦ : ١٧-١٩ موجز	«وكان الجمع كلّه يحاول أن يلمسه، لأنّ قوّة كانت تخرج منه فتُبرئهم جميعًا» (٦ : ١٩).
لو ٧ : ١-١٠	العبد - إبن قائد المئة، الوثنيّ.
لو ٧ : ١١-١٧	إبن أرملة نائين، أوّل إحياء لميت.
لو ٨ : ٢٦-٣٩	الممسوس في بلد الجرجسيّين. الرحلة الوحيدة ليسوع إلى أرضٍ وثنيّة.

لو ٨: ٤٠-٤٢. ٤٩-٥٦	إحياء ابنة يائيرس.
لو ٨: ٤٣-٤٩	المرأة المنزوفة.
لو ٩: ١١ موجز	«فاستقبلهم (الجموع) وكلّمهم على ملكوت الله، وأبرأ الذين يحتاجون إلى الشفاء».
لو ٩: ٣٧-٤٣	الصبيّ المصاب بالصرَع.
لو ١٣: ١٠-١٧	المرأة المنحنية الظهر. في المجمع، يوم السبت. آخر طرد للشيطان.
لو ١٤: ١-٦	الرجل المصاب بالاستسقاء، يوم السبت.
لو ١٧: ١١-١٩	البرص العشرة.
لو ١٨: ٣٥-٤٣	أعمى أريحا. آخر عمل شفاء.
لو ٢٢: ٥١	إنّ يسوع، عند القبض عليه، يشفي أُذن خادم عظيم الكهنة.

يبدو أنّ لوقا يُظهِر ميلًا واضحًا لتقديم مشاهد متقابلة أكثر من مرقس ومتّى:

- **الاختلاف رجل - إمرأة**: قائد المئة وأرملة نائين المفجوعان لفقدان ولديهما (٧: ١-١٧)، المرأة المنحنية الظهر والرجل المصاب بالاستسقاء وشفاؤهما يوم السبت (١٣: ١٠-١٧ و١٤: ١-٦)، الابن الذي أعاده إلى أبيه والفتاة إلى أمّها (٧: ١١-١٧ و٨: ٤٩-٥٢).
- **الاختلاف في الوضع الاجتماعيّ**: بين ابنة يائيرس والمرأة المنزوفة (كما هو الحال في مرقس). بين الأعمى وزكّا، كلاهما في أريحا (١٨: ٣٥-١٩: ١٠).
- **إختلاف في الموقف الأخلاقيّ**: بالتّأكيد هناك اللصّان المصلوبان مع يسوع (المجدّف والصالح؛ ٢٣: ٣٩-٤٣)؛ وفي إطار اللقاءات، السامريّ الأبرص والتسعة الآخرون (١٧: ١١-١٩).

اللقاء الأوّل واللقاء الأخير

الكلمة، الشهرة والتسبيح. كما في مرقس، يركّز اللقاءان الأوّل والأخير على الاعتراف بهويّة يسوع. لقد انتهر يسوع نفسه الرجل الممسوس الذي كان يصرخ مُعلنًا هويّة يسوع. وبالطريقة نفسها مُنِعَ الأعمى من الكلام لم تمنعه الجموع (مرقس) بل «**الذين يسيرون في المقدّمة**»

(١٨ : ٣٩)؛ ويتكرّر الفعل «انتهرَ» من مشهدٍ لآخر.

إنّ المسألة المطروحة هي هويّة يسوع، «**قدّوس الله**» و«**ابن داوُد**». ومع ذلك لا يُطرح السؤال بالمصطلحات نفسها عند مرقس وعند لوقا الذي لديه منظور مختلف. ففي مجمع الناصرة (٤ : ١٦-٣٠) يكشف يسوع عن ذاته بأنّه الذي مَسَحهُ الله (آية ١٨). ويبدو أنّ إعلان الشيطان في مجمع كفرناحوم يستند إلى هذا الكشف: «**أنت قدّوس الله**» (٤ : ٣٤). ويُبرز المشهد قيمة كلمة يسوع «**يتكلّم بسلطان**» (٤ : ٣٢؛ آية ٣٦). وقد سبق لهذه الكلمة أن فرضت على أهل الناصرة الإعجاب بها (٤ : ٢٢). وهي هنا مليئة بالقوّة والعطاء، وتحرّر الإنسان وتحافظ على سلامته (يتركه الشيطان من دون أن يمسّه بسوء). إنّ نقطة النهاية هي

لو ٤ : ٣١-٣٧	لو ١٨ : ٣٥-٤٣
[٣١]ونزل إلى كفرناحوم، وهي مدينة في الجليل، فجعل يُعلّمهم يوم السبت. [٣٢]فأُعجِبوا بتعليمه لأنّه كان يتكلّم بسلطان.	[٣٥]واقترب من أريحا،
[٣٣]وكان في المجمع رجل فيه روح شيطان نجس، فصاح بأعلى صوته: [٣٤]«آه ! ما لنا ولك يا **يسوع الناصريّ!** أجئتَ لتُهلكنا؟ أنا أعرف مَن أنت: أنتَ قدّوس **الله**».	وكان رجل أعمى جالسًا على جانب الطريق يستعطي. [٣٦]فلمّا سمع صوت جمع يمرّ بالمكان، استخبر عن ذلك ما عسى يكون. [٣٧]فأخبروه أنّ **يسوع الناصريّ** مارٌّ من هناك. [٣٨]فأخذ يصيح فيقول: «رحماك يا يسوع ابن داوُد!»
[٣٥]**فانتهره** يسوع قال: «إخرس واخرج منه!». فصرعه الشيطان في وسط المجمع، وخرج منه، من غير أن يمسّه بسوء. [٣٦]فاستولى الرعب عليهم جميعًا، وقال بعضهم لبعض: «ما هذا الكلام؟ إنّه يأمر الأرواح النجسة بسلطان وقوّة فتخرج». [٣٧]فذاع صيته في كلّ مكان من تلك الناحية.	[٣٩]**فانتهره** الذين يسيرون في المقدّمة ليسكت. فصاح أشدّ الصياح قال: «رحماك يا يسوع ابن داوُد!» [٤٠]فوقف يسوع وأمر أن يؤتى به. فلمّا دنا سأله: [٤١]«ماذا تريد أن أصنع لك؟» فقال: «يا ربّ، أن أُبصِر». [٤٢]فقال له يسوع: «أَبصِر، إيمانك خلصّك» [٤٣]فأبصَرَ من وقته وتبعه وهو يمجّد **الله**. ورأى الشعب بأجمعه ما جرى فسبّح **الله**.

تزايد شهرة يسوع، وهو موضوع عزيز على لوقا (مقارنة ٤: ٣٧ بـ٤: ١٤-١٥).

في أريحا، لم تعُد الشهرة هي نقطة نهاية هذا اللقاء بل تسبيح الله. فالأعمى الذي شُفي هو نموذج المؤمن: فهو يُعلن هويّة يسوع المشيحانيّة، «**ابن داوُد**»، بحسب اللقب الذي أعلنه الملاك لمريم (١: ٣٢)؛ وهو ما لم يقُم به أحدٌ من قبل، ولن يقوم به أحدٌ. ويُضيف الأعمى لقب «**يا ربّ**» (١٨: ٤١). ويتبع يسوع (مثل برطيماوس في مرقس)، لكنّه يقوم بذلك وهو يُسبّح الله، فيجرّ وراءه «**الشعب بأجمعه**» (١٨: ٤٣؛ في مجمع كفرناحوم، استولى الرعب على «**الجمع**» ٤: ٣٦). في أريحا، أصبح «**الجمع**» (١٨: ٣٦) «**شعبًا**» يجمعه تسبيح الله (انظر النصّ ضمن الإطار). فمنذ ولادة المخلّص في مدينة داوُد (٢: ١٣-٢٠) لم تدوِّ أصوات التسبيح بهذا الشكل.

من كفرناحوم إلى أريحا، يقودنا الخطّ الذي يسير به لوقا من الخوف إلى تسبيح الله. إنّها المرّة الوحيدة في الأناجيل التي «يأمر» فيها يسوع بعمل شيءٍ ما: أن يؤتى إليه بالأعمى (آية ٤٠). وهو لم يُعِد إليه بصره وحده بل أعاد، بشكلٍ ما، البصر أيضًا إلى الجمع الذي «**رأى ما جرى**» (آية ٤٣)، ممّا جعله ينفتح ليسبّح الله. ومع ذلك فإنّ أريحا تخبّئ لنا مفاجآتٍ أخرى.

الشعب في إنجيل لوقا

يُستخدم في إنجيل لوقا اسم الموصوف «**الشعب** *Laos*» خمسًا وثلاثين مرّة (مرّتين في مرقس وأربع عشرة مرّة في متّى). إنّ المصطلح الموروث من الترجمة السبعينيّة يدلّ على إسرائيل (لو ١: ٦٨) وله أحيانًا بعدٌ ليترجيّ (١: ١٠. ٢١). في رواية أعمى أريحا (١٨: ٣٦-٤٣) يصبح «**الجمع** Ochlos» «**شعبًا** Laos». ونجد الانزلاق اللغويّ نفسه في اثنتين من روايات المعجزات الأخرى.

- في نائين، يتلاقى الجمعان (٧: ١١-١٢) ويتّحدان بعد إحياء الشابّ ليمجّدوا الله: «**قام فينا نبيٌّ عظيم، وافتقد الله شعبه**» (٧: ١٧).
- تمّ إعلان شفاء المنزوفة أمام «**الشعب كلّه**» (٨: ٤٧) الذي لم يكن في بداية الرواية سوى «**جمع**» من الناس (٨: ٤٠).

أعمى أريحا وزكّا. يقع اللقاء بالأعمى (الأعميَين) في متّى ومرقس مباشرةً بعد طلب ابنَيْ زبدى عند الخروج من أريحا (متّى ٢٠: ٢٩// مر ١٠: ٤٦). أمّا في لوقا فالمشهد يقع عند دخول أريحا، لأنّ هناك لقاء آخر كان سيجري في هذه المدينة (لو ١٩: ١-

١٠). الشخصيّة معروفة، رجلٌ غنيّ، ووضعه سيّئ السمعة: فهو رئيس جباة الضرائب، وله اسم: زكّا. والظاهر أنّ لوقا يلعب على التناقض بين هذَيْن الاثنين من سكّان المدينة: الشحّاذ، وهو بدون اسم، والرجل الوجيه المعروف لكنّه سيّئُ السمعة. ومع ذلك هناك نقطة مشتركة بين الاثنين: إنّهما يريدان أن «يُبصرا». ويصطدم الاثنان بالعائق نفسه: الجمع الذي يُريد إسكات الأعمى ويمنع زكّا من أن يرى.

ويبادر يسوع لملاقاتهم: إنّه يأمر بأن يأتوه بالأعمى (١٨ : ٤٠)؛ ويرفع طرفه نحو زكّا (١٩ : ٥). الأعمى الذي شُفي يمجّد الله، وزكّا يستقبل يسوع بفرح. وعندما «**رأوا**» شفاءَ الأعمى، سبّح الشعب «**بأجمعه**» الله (١٨ : ٤٣). لكنّهم عندما «**رأوا**» يسوع ذاهبًا إلى بيت زكّا، «**تذمّروا كلّهم**» (١٩ : ٧)! وعلى القارئ العودة إلى بداية تبشير يسوع: في ٥ : ١٧-٣٢ شفى يسوع المُقعد فأثار اندهاش الشهود الّذين مجّدوا الله؛ ثمّ دعا بعد ذلك لاوي جابي الضرائب ليتبعه، وذهب ليأكل عنده؛ ويردُّ يسوع على تذمُّر خصومه: «**ما جئتُ لأدعو الأبرار، بل الخاطئين إلى التوبة**» (٥ : ٣٢). وعند اقتراب نهاية رسالته، يعيش موقفًا مماثلًا: يشفي مُعوَّقًا، ويلتقي بخاطئ (أو أنّه قد تمّ تصنيفه كذلك)، يُقيم عنده ويؤكّد أمام «**الجميع**» (وليس أمام خصومه وحدهم) أنّ «**ابن الإنسان جاء ليبحث عن الهالك فيخلّصه**» (١٩ : ١٠).

إنّ الشحّاذ الأعمى وجابي الضرائب اللذَيْن اهتديا يحظيان بالتعاطف نفسه من قِبَل يسوع الذي يتعاطف دومًا و«الهالكين».

وصف الأبرص السامريّ (١٧ : ١١-١٩)

تسعة + واحد = عشرة: السامريّ الأبرص في الأناجيل الإزائيّة هو بدون شكّ الوحيد بين المرضى الّذين شفاهم يسوع فرجع ليشكره. إنّه يتميّز في ذلك عن التسعة الآخرين، ويُسارع يسوع بتأكيد ذلك. ويبيّن النصّ التضادّ بين البرص التسعة والعاشر.

يتكوّن النصّ من جزئَيْن: في الجزء الأوّل (١٧ : ١١-١٤) تظهر مجموعة البرص العشرة غير متمايزة ويتكلّمون بصوتٍ واحد. يقفون عن بعد (١٧ : ١٣)، يخاطبون يسوع كما يفعل الرسل في بعض الأحيان مستخدمين التعبير الذي يتميّز به لوقا: «**أيّها المعلّم Epistata**» (٥:٥؛ ٨ : ٢٤؛ ٩ : ٣٣. ٣٩). ويُجيب يسوع بوصيّة: «**أُمضوا إلى**

الكهنة وأروهم أنفسكم»، وهي صدى للقائه الأوّل بالأبرص (٥ : ١٤) ممّا يُظهر احترامه للشريعة. كان يمكن أن ينتهي هذا الحدَث بشفائهم وهم ذاهبون في الطريق.

تُعتبَر عبارة «**بينما**» بشكلٍ عامّ مدخلًا إلى رواية جديدة. وهذا هو الوضع هنا: فالجزء الثاني من النصّ (آية ١٥-١٩) يُركّز على السامريّ. فيصف لوقا في البداية مواقف الرجل الذي شُفي كافّة: لقد «رأى» أنّه قد برئ (آية ١٥)، كما «رأى» يسوع شدّة ألم الرجال العشرة (آية ١٤). إنّه يُمجّد الله «**بأعلى صوته**»، في حين رفع العشرة رجال أصواتهم طالبين الرحمة. وأخيرًا، «**يسقط على وجهه عند قدمَي يسوع**»، في حين أنّ الرجال العشرة «**وقفوا عن بُعد**». بعد سرد المواقف هذا تأتي المفاجأة. «**وكان سامريًّا!**» ويعود إلى يسوع تفسير المشهد انطلاقًا من ذلك التضادّ في المواقف. وأخيرًا يصرف يسوع ذاك الذي يُشيد بقوّة إيمانه، ويدعو مستمعيه إلى أن يكونوا على مثاله، وقد يكون ذلك لرسله الّذين، قبل هذا الحدَث بقليل، طلبوا منه قائلين: «**زدنا إيمانًا!**» (١٧ : ٥). لقد برئ البرص العشرة لكنّ واحدًا منهم نال الخلاص بالإيمان. كما في مثَل العشرة دراهم (١٥ : ٨-١٠)، لقد ضاع درهم واحد ثمّ وُجِدَ، فأفرح

يسوع والبرص العشرة:

[١١] **وبينما** هو **سائر** إلى أورشليم، مرَّ **بالسامرة** والجليل،
[١٢] وعند دخوله بعض القرى، لقيَه **عشرة من البرص**، فوقفوا عن بُعد،
[١٣] **ورفعوا أصواتهم** قالوا: «رحماك يا يسوع، أيّها المعلّم!»
[١٤] فلمّا **رآهم** قال لهم:
«**إمضوا** إلى الكهنة فأروهم أنفسكم»
وبينما هم ذاهبون برئوا.

يسوع والسامريّ:

[١٥] فلمّا **رأى** واحد منهم أنّه قد برئ، **رجع** وهو يمجّد الله **بأعلى صوته**.
[١٦] وسقط على وجهه عند قدمَي يسوع يشكره،
وكان **سامريًّا**.
[١٧] فقال يسوع: أليس **العشرة** قد **برئوا**؟ فأين التسعة؟
[١٨] أما كان فيهم مَن **يرجع** ويُمجّد الله سوى هذا الغريب؟
[١٩] ثمّ قال له: «**قُم فامضِ**، إيمانك خلّصكَ».

المرأة وصديقاتها على الأرض، وأفرح ملائكة الله في السماء!

تقديم الشكر إلى الله: كما كان السامريّ في المثَل نموذجًا غير متوقّع للرحمة (١٠: ٣٣)، كذلك الأبرص السامريّ هنا هو نموذج غير متوقّع للإيمان.

إنّ الإيمان هو الموضوع الأساسيّ في المرحلة الأخيرة هذه من صعود يسوع إلى أورشليم. ومثَل الخادم الذي لم يقُم إلّا بواجبه (١٧: ٧-١٠) يسبق اللقاء بالأبرص السامريّ. في رواية الشفاء، هناك تسعة برص فعلوا كلّ ما طلب منهم يسوع والشريعة أن يفعلوه؛ والعاشر فقد ذهب إلى ما هو أبعد من الأوامر، ورجع ليشكر بدل أن يمضي إلى الكهنة. إنّه ينضمّ إلى جماعة المؤمنين الذين خلّصهم إيمانهم: المرأة الخاطئة (٧: ٥٠)، المرأة المنزوفة (٨: ٤٨)، وفي وقت لاحق، أعمى أريحا (١٨: ٤٢). لكنّه يتميّز عنهم بأمرَيْن:

- إنّه غريب مثل نعمان، القائد السوريّ الذي شفاه أليشع (٢ مل ٥). لقد وضع يسوع رسالته كنبيّ لم يقبله شعبه تحت راية هذا الأخير (٤: ٢٤-٢٧). إنّ حركات القائد والأبرص الذي بدون اسم متماثلة: يأتيان إلى النبيّ (أليشع، يسوع)، يمضيان ثمّ يرجعان، وقد برئا، ليقدّما الشكر. لكنّ الأبرص العاشر لا يملك المركز الاجتماعيّ الذي لنعمان، ويأتي من منطقة مُعادية (٩: ٥٢). بالإضافة إلى ذلك، لا يملك أيّ هديّة يقدّمها من أجل شفائه (را ٢ مل ٥: ١٥)... سوى أن يُقدّم الشكر.
- السمة الثانية التي تُميّزه: إنّه يقدّم الشكر (باليونانيّة Eucharistô) إلى يسوع. إنّها المرّة الوحيدة التي ترد فيها عبارة Eucharistô في العهد الجديد وهو يُقدَّم إلى يسوع وليس إلى الله (لو ١٨: ١١؛ ٢٢: ١٧. ١٩)، وهو يكمّل بدون شكٍّ تسبيحه لله (آية ١٥. ١٨)، لكنّ ذلك يجعل الأبرص مؤمنًا من نوعٍ جديد: فهو يعترف بوجود قوّة الله في يسوع، بعكس الفرّيسيّين الذين، في المقطع اللاحق، يسألون مرّة أخرى: «**متى يأتي ملكوتُ الله؟**» (١٧: ٢٠).

لقد وضعتنا قراءة هذا المقطع أمام الغريب، وهو نوع من الشخصيّات المألوفة في **الكتاب المقدّس**: نعمان السوريّ، كشخصٍ أبرص، هو نموذج قديم للسامريّ، وكقائد، هو نموذج لقائد المئة الرومانيّ (٧: ١-١٠). ففي مَثَل «السامريّ الصالح» الذي رواه لأحد علماء الشريعة الذين بدون عيب (١٠:

٢٥-٣٧)، يقترب الغريب من الرجل الجريح بدافع «الشفقة»، ويُظهِر له تعاطفه الأخويّ. ويفسح هذا الشعور بالشفقة هنا المكان لشعورٍ آخر لا يخفُّ عنه إنسانيّةً: الامتنان. لقد تخيّل يسوع ذات يومٍ رجلًا سامريًّا مليئًا بالمشاعر الإنسانيّة؛ وها هو يلتقيه في الواقع.

الخاتمة

في مسيرنا عبر الأناجيل الإزائيّة التقينا بمجموعة واسعة ومتنوّعة من الأشخاص. فلنحاول تذكّر بعض السمات الأساسيّة.

ما هو مُشترَك بين الأناجيل الثلاثة هو انفتاح يسوع الشديد على الآلام البشريّة. فاستقباله الآخرين لا ينخرط في مخطّط متماسك أو مُتعمَّد، فهو يلبّي ببساطة نداءات، لقاءات غير متوقّعة، مُفاجئة. هكذا على الأقلّ رُويَت لنا، ولكنّ ذلك لا ينفي أنّ الإنجيليّين يتبعون خطًّا مُعيّنًا في سردهم إيّاها، مسارًا لاهوتيًّا، وخصوصًا مسار الكشف التدريجيّ عن سرّ يسوع. ويتمّ هذا الكشف من خلال لقاءات بأشخاص وبوساطتهم، مُستلّين من جمع غير محدّد المعالم، يختلفون (أو يتقاربون) بعضهم عن بعض في بيئتهم أو مركزهم الاجتماعيّ، مُعاناتهم، موقفهم قبل تواصلهم الوجيز نوعًا ما مع يسوع وبعده. وإن كانت غالبيّتهم مجهولة الاسم فذلك لجعلهم نماذج مثاليّة (أو غير مثاليّة) رمزيّة للتلاميذ أو للخصوم.

إنّ السمة الخاصّة بيسوع في الانتباه إلى الأشخاص لها خاصّيّتها لدى كلّ إنجيليّ يستخدمها ليرسم صورة ذاك الذي هو «**المسيح**» وفق إعلان إيمان بطرس (مر ٨: ٣٠ و//). لا يختلط مسيح متّى، سيّد نفسه وسيّد الآخرين، الثابتُ في مشيئته وقدرته على الشفاء، بمسيح مرقس القادر على التكيُّف في جميع الأوساط. وكلاهما، بالتّأكيد، يختلفان عن مسيح لوقا الذي يُبدي حتّى النهاية رغبته في أن يجذُبَ جميع الهالكين والهالكات إلى فرح الله.

٣ - آباء وأمّهات يلتقون يسوع

هناك فئة تستحقّ ذكرًا خاصًّا من بين الأشخاص الذين يلتقون بيسوع: إنّهم آباء وأمّهات في مواجهة مرض ولدهم أو موته. إنّ حدَث مُقعد كفرناحوم (مر ٢: ١-١٢ و//) أو أعمى بيت صيدا (ص٢٦)، إضافةً إلى مجمل المعجزات في الأناجيل الإزائيّة، جعلتنا ننتبه بالفعل إلى جماعات غير مُحدّدة ترافق المرضى، وتتشفّع أحيانًا لأجلهم. ونتقدّم خطوة حين يجد القارئ نفسه أمام متشفّعين لهم صلة قُربى بأولئك الذين - اللواتي يُعانون: الإنجيل الرابع يُظهر لنا أختَين تتوسّلان من أجل أخيهما المريض (يو ١١: ٣)، لكنّ الأناجيل الإزائيّة تتكلّم حصرًا على أبٍ أو أُمّ يتشفّعان لأجل ولدهما.

آباء وأُمّهات وأبناء

في مرقس ومتّى ولوقا، يتركّز كلّ شيءٍ على العلاقات بين الأهل والأبناء

قائد المئة في كفرناحوم السيّد - الأب/ الخادم - الابن	متّى ٨: ٥-١٣		لو ٧: ١-١٠
الرجل الوجيه (يائيرس) أب/ إبنة	متّى ٩: ١٨-١٩، ٢٣-٢٦	مر ٥: ٢١-٢٤، ٣٥-٤٣	لو ٨: ٤٠-٤٤، ٤٩-٥٦
الكنعانيّة/ السوريّة - الفينيقيّة أمّ/ إبنة	متّى ١٥: ٢١-٢٨	مر ٧: ٢٤-٣٠	
أرملة نائين، أمّ/ إبن			لو ٧: ١١-١٧
الصبيّ المُصاب بالصرَع أب/ إبن	متّى ١٧: ١٤-٢١	مر ٩: ١٤-٢٩	لو ٩: ٣٧-٤٣
أُمّ ابنَيْ زبدى أمّ/ أبناء	متّى ٢٠: ٢٠-٢٣		

كما يتّضح من الجدول التالي. ربّما كان علينا أن نُضيف حماة سمعان - بطرس (مر ١ : ٢٩-٣١ و//) ليكون الجدول كاملًا. لكنّ طلب الشفاعة لا يأتي من الأقرباء، فيسوع هو الذي يذهب إليها؛ بالرغم من أنّها المرّة الأولى التي يدخل فيها مجالًا عائليًّا.

روايات مشتركة بين الأناجيل الثلاثة

إنّها إحياء ابنة رجل وجيه (رئيس المجمع المُسمّى يائيرس في مرقس ولوقا) وطرد الشيطان من صبيّ مُصاب بالصرَع بعد مشهد التجلّي.

إنّ تقديم ابنة الرجل الوجيه يتناقض مع تقديم المرأة المنزوفة؛ فالواحدة والأخرى في قبضة الموت. عندما ارتمى الرجل الوجيه على قدمَيْ يسوع، قدّم فعل إيمان لم يتردّد يسوع أمامه عن الاستجابة وذهب معه. وفي الأناجيل الثلاثة يُعرِّض يسوع نفسه لسخريّة الناس حوله، الذين «**ضحكوا**» (في بيت يسوده الحِداد!)، حين أكّد أنّ الصبيّة لم تمُت.

قبل حادثة الصبيّ المُصاب بالصَرَع، أسمعتنا الأناجيل صوتًا أبويًّا سماويًّا: «**هذا هو ابني...**»، «... **الحبيب**» بحسب مرقس ومتّى، «... **الذي اخترته**» بحسب لوقا. وفي هذه الحادثة، نسمع صوتًا آخر بشريًّا يتوسّل: «[هذا] **ابني**...» (ويُضيف لوقا: «... **إنّه وحيدي**»). الشحنة العاطفيّة الشديدة هذه تُعزّز التعليم حول قوّة الإيمان والصلاة. فنقطة البداية هي محنة أبٍ يشقّ طريقه بين جمع «**عديم الإيمان**» نحو يسوع (مر ٩ : ١٩ و//)؛ في متّى ومرقس يشترك التلاميذ بعدم الإيمان.

روايات مشتركة بين إنجيلَين

خادم شخص وثنيّ: تُظهر حادثة خادم قائد المئة في كفرناحوم، المشتركة بين متّى ولوقا، مشهدًا ليسوع مع شخصٍ وثنيّ للمرّة الأولى. أن يكون هذا الأخير قائد مئة يساعد على إرشادنا لفهم سرّ يسوع (انطلاقًا من خبرة السلطة، متّى ٨ : ٨-٩ // لو ٧ : ٦ب-٨). ويُعجَب يسوع بإيمان هذا الوثنيّ ويستجيب لطلبه بشفاءٍ يقوم به عن بُعد. فقائد المئة يعتبر نفسه حاميًا لذاك الذي يعيش تحت سقف بيته، وتحمل كلماته نبراتٍ أبويّة. ويلعب متّى على التوازي في معاني الكلمات Ho pais mou (التي تعني «خادمي» ولكن أيضًا «ولدي»)؛ ويستعمل لوقا التعبير *Doulos* («خادم، عبد»)، لكنّه يُبيّن

مباشرةً أنّه عزيزٌ على قلب سيّده (لو ٧: ٢). هل سيكون للمشهد التأثير نفسه لولا وجود تلك العاطفة التي تحمل طابعًا عائليًّا[1]؟

إبنة امرأة وثنيّة: تقع الحادثة المشتركة هذه بين مرقس ومتّى في منطقة صور. يواجه يسوع امرأة وثنيّة توصف بأنّها سوريّة-كنعانيّة (مر) أو كنعانيّة (متّى). المشهد قويّ في الإنجيلَين بسبب مقاومة يسوع وإصرار المرأة ممّا جعل يسوع يعدُل عن موقفه. تُسلِّط الشروحات الضوء على قضايا ذات طابع كنَسيّ تخصّ هذا المشهد (ما يتعلّق، بالنسبة إلى الجماعات الأولى، بمشاركة الوثنيّين المتنصّرين بالمائدة الإفخارستيّة مع اليهود المتنصّرين). لنلاحظ من جهتنا أنّ التي تتوسّل إلى يسوع هي أُمٌّ في ضيقٍ شديد؛ أمّا الحجّة التي يُبرّر بها يسوع رفضه طلبها، وهي مثل شائع: «**لا يحسُن أن يؤخَذ خبز البنين، فيُلقى إلى صغار الكلاب**» (مر ٧: ٢٧)، فهي تمسّ مباشرةً المسؤوليّة تجاه الأقرباء. وجاء جواب المرأة - في النصَّين - سريعًا: لقد اخترق يسوع قلقها الأموميّ، فيمكنها إذًا أن تتبنّى المَثل وتعدّله. ورأى يسوع في ذلك فعل إيمان.

هل يمكننا ربط هذا اللقاء باستشهاد يوحنّا المعمدان الذي رُويَ قبله بقليل؟ وضع متّى ومرقس هذا المشهد، الذي يحدث في غياب يسوع، في عالم غريب عنه: عالم العُظماء، عند هيرودس (مر ٦: ١٧-٢٩// متّى ١٤: ٣-١٢). هناك أُمٌّ وابنتها وملك ذو سلطان يقتلون نبيًّا؛ الابنة تتكلّم بالنيابة عن أمّها لتصبح فاعل موت. وما يحدث في منطقة صور هو نقيض ذلك، أُمٌّ تتكلّم بالنيابة عن ابنتها من أجل فعل خلاص.

روايات خاصّة

يتفرّد كلّ من متّى ولوقا بروايات خاصّة بهم. في متّى، وقبل دخول أورشليم، نرى مداخلة أُمّ ابنَيْ زبدى. من المؤكّد أنّ التلميذَيْن لا يتعرّضان لأيّ خطر، وذلك ما يجعل محاولتها تدعو إلى السخريّة نوعًا ما. ومع ذلك يستجيب يسوع لطلب الوالدة. في مرقس، برواية أرملة نائين، الأُمّ في حِداد ولا تطلب شيئًا؛ ومع ذلك يقوم يسوع بإحياء ابنها وإعادته إليها.

(١) يذكر الإنجيل الرابع مشهدًا وضِعَ غالبًا في التوازي: إنّه يتمّ في قانا ويخصّ ابن (وليس عبد) ضابطٍ ملكيّ (وليس قائد مئة) يبقى في كفرناحوم، ويتمّ الشفاء أيضًا عن بعد (يو ٤: ٤٦-٥٤).

فقدان أحد الأبناء

في القرن الأوّل الميلاديّ، لم تكن الأمراض ووفيّات الأطفال أمرًا نادرًا. وتستند إحدى المناظرات بين يسوع والصدّوقيّين إلى واقع أنّ موت الإنسان من دون أن يُخلّف ولدًا يعني خطر عدم استمرار بقائه (مر ١٢: ١٨-٢٧ و//). ومهما كان الأمر، فإنّ فقدان أحد الأبناء يبقى في الأحوال كافّة أمرًا مُريعًا؛ وذلك وفق المقولة: «لا ننجب أولادًا في العالم لكي نراهم يموتون». لقد قدّمت النصوص الإنجيليّة إلى المسيحيّين الأوّلين الذين واجهوا هذه المحنة عونًا لإيمانهم. وقد تبيّن أنّها أشدّ ضرورة عند قيام غير المسيحيّين، استنادًا إلى تعاليم يسوع (مر ١٠: ٢٩-٣٠ و//؛ مر ١٣: ١٢)، باتّهامهم أنّها تتعارض مع الروابط الأُسَريّة.

تؤكّد كلّ من هذه الروايات المَعوقات: وجود الجموع، تدخُّل نازفة الدم التي تؤخّر يسوع في طريقه إلى بيت الرجل الوجيه، الفارق وثنيّان/يهود في ما يخصّ قائد المئة والمرأة الكنعانيّة، عدم استطاعة التلاميذ طرد الشيطان من الصبيّ المصاب بالصرَع، مقاومة يسوع نفسه طلب الكنعانيّة. هؤلاء الأهل الذين يتوسّلون يسوع ليسوا أشخاصًا يعانون ضيقًا شديدًا وحسب، بل يتبيّن في قلب هذا الضيق أنّهم قومٌ مؤمنون. ويجعلنا كلّ واحدٍ من الإنجيليّين نغوص على طريقته في هذه المأساة.

مرقس والأبناء

عدد الأهل الذين جاؤوا يتوسّلون يسوع من أجل أولادهم ثلاثة: يائيرس، رئيس المجمع الذي كانت ابنته مُشرفة على الموت (مر ٥: ٢٢-٢٣)؛ السوريّة-الفينيقيّة التي استولى روحٌ نجِس على ابنتها (٧: ٢٥-٢٦)؛ أبو الصبيّ الذي يتملّكه روحٌ أبكم (٩: ١٤-٢٩). ومحنة هؤلاء تُملي عليهم سلوكًا غير اعتياديّ.

يائيرس، رئيس المجمع

على مثال برطيماوس، فإنّ يائيرس إحدى الشخصيّات الثانويّة القليلة المعروفة الاسم. والاسم المذكور هذا في **الكتاب المقدّس** (بالعبريّة Yair) يعني «الذي أناره الربّ»، لم يُذكَر في الواقع سوى مرّة واحدة بالبداية (مر ٥: ٢٢)؛ وبعد ذلك فضّل الراوي إبراز وضع هذه الشخصيّة الاجتماعيّ (٥: ٣٥. ٣٦. ٣٨). وهذا على الأرجح لسببٍ وجيه، فالمجمع بوجهٍ خاصّ هو مكان مواجهة

قاسية بالنسبة إلى يسوع مرقس: شفاء الرجل ذي اليد الشَلّاء أثار التآمر الأوّل (مر ٣: ١-٦)؛ وبعد حادثة ذهابه إلى بيت يائيرس مباشرةً واجهَ يسوع شكوك مواطنيه في المجمع (٦: ١-٦). في ظلّ هذه الظروف، هناك ما يثير الدهشة في رئيس المجمع هذا؛ إنّه يرتمي على قدمَيْه، ويسأله «**بإلحاح**» (باليونانيّة Polla؛ ومرقس هو الوحيد الذي يستعمل هنا هذا التعبير)، مع أنّ وضعه الاجتماعيّ يسمح له بإرسال خادمٍ لتقديم طلبه.

وكما في الأناجيل الأخرى، يتمّ تقديم يائيرس، رئيس المجمع والأب المحزون، بالتوازي مع المرأة الجهولة الاسم، المعزولة والنجسة؛ وقد عانت «**كثيرًا**» هي أيضًا (٥: ٢٦). إنّها هي التي، بوضعها الاجتماعيّ المتدنّي، كانت المؤمنة الأولى في هذه الرواية: «**يا ابنتي، إيمانكِ خلّصكِ...**» (آية ٣٤). وفي اللحظة التي وصل فيها أُناس يعلنون للأب موت ابنته وأنّ مجيء يسوع لم يعُد ضروريًّا، فإنّه يدعوه إلى إيمانٍ مماثل: «**لا تخَف، آمِنْ فحسب**» (آية ٣٨). لن يكون فعل إيمان يائيرس بإعلانٍ صريح بل ضمنيّ (فهو يتجاهل نصيحتهم بعدم إزعاج المعلّم؛ آية ٣٥).

وتأتي لحظة في الرواية تتعدّل فيها التسمية «**رئيس المجمع**» لتحُلَّ مكانها عبارة «**أبو الصبيّة**» في الوقت نفسه الذي تظهر فيه الأمّ (آية ٤٠). ففي الغرفة التي يُخيّم عليها الموت، رئيس المجمع هو على قدم المساواة مع زوجته. إنّنا هنا أمام الزوجَيْن الوحيدَيْن اللذين يلتقيهما يسوع في إنجيل مرقس: فهي مُعجزة استثنائيّة، الوحيدة التي تحدث بحضور بطرس ويعقوب ويوحنّا الّذين اختارهم شهودًا، مثلما اختارهم عند التجلّي (٩: ٢) أو كما سيكونون في جَتسَمانيّ (١٤: ٣٣). وللمرّة الأولى يجابه يسوع الموت. فهو يأخذ على عاتقه حياة الابنة: إنّه يُقيمها، ويضع نفسه مكان الأهل، فيطلب أن يُقدّموا إليها طعامًا.

يبقى إيمان رئيس المجمع ضمنيًّا. وقد يستند إلى إيمان المرأة المجهولة الاسم؛ وفي الواقع فإنّ الروايتَيْن تتجاوبان (انظر الجدول الذي يلي). على كلّ حال، إنّه أوّل أبٍ في شدّة يقدّم إليه يسوع عملَ حياة. وستأتي قصّة الأب الثاني لتسلّط الضوء على قصّة يائيرس.

الرجُل الذي قال «آمنتُ!»

إنّ رواية طرد الشيطان من صبيّ (مر ٩: ١٤-٢٩) تُبرِزُ كلّ الممثّلين

المُحتمَلين: التلاميذ، الكتبة، الجموع (آية ١٤-١٥)، ثمّ الأب المفجوع (آية ١٧-٢٣) الذي يُخاطب يسوع ثلاث مرّات (آية ١٧، ٢٢، ٢٤). ويتمّ ذكر الجموع مرّة أخرى قبل طرد الشيطان من الصبيّ (آية ٢٥). ويستخلص يسوع العبرة من هذا الحدَث للتلاميذ وحدهم.

يتمّ تخليص الصبيّ على مرحلتَيْن: كلمة من يسوع يوجّهها إلى الروح النجِس الذي يترك الصبيّ كالميت (آية ٢٥-٢٦)، وحركة من يده ليُنهضه (آية ٢٧). إنّ أصداء رواية إقامة ابنة يائيرس جليّة للعيان.

يتمّ وصف أعراض مرض الصبيّ على مرّتين بدقّة بالغة (آية ١٨ . ٢٢)، وبحدّة ملاحظة الأهل الّذين يعيشون يومًا بعد يوم بقرب ولدهم المريض. وتُبرِزُ مداخلات الراوي كلام الأب (آية ٢٠، ٢٦). ويعمل يسوع على مستويين: يستفسر عن المرض كطبيبٍ ماهرٍ من جهة (آية ٢١)؛ ويتوجّه بنظره إلى الإيمان من جهةٍ أخرى: «**أيّها الجيل الكافر**» (آية ١٩). «**كلّ شيء ممكن للذي يؤمن**» (آية ٢٣). والصلاة التي يتلوها فريدة من نوعها في الإنجيل. هذا الأب هو الشخصيّة الوحيدة البائسة التي تُجيب فورًا: «آمنتُ!»، وهو ما لم يُعبّر عنه يائيرس صراحةً. ويكتمل الاعتراف بالإيمان هذا بصلاة تضرُّع هي أيضًا فريدة من نوعها، تُشير إلى أنّ الرجل قد فهم الدعوة تمامًا: «... **شدّد إيماني الضعيف!**» (آية ٢٤). إنّ الأب الذي كان

يائيرس (مر ٥: ٢١-٢٤؛ ٣٥-٤٣)	**المرأة المنزوفة (مر ٥: ٢٥-٣٤)**
حضور مزعج لجموع في حالة حِداد (٥: ٣٨-٤٠)	حضور مزعج لجموع خانقة حول يسوع (٥: ٢٣-٢٧؛ ٣٠-٣١)
حضور التلاميذ الثلاثة الشهود (٥: ٣٧-٤٠)	حضور التلاميذ الذين لم يفهموا شيئًا (٥: ٣١)
عمر الفتاة اثنا عشر عامًا (٥: ٤٢)	المرأة مريضة منذ اثني عشر عامًا (٥: ٢٥)
«تعال وضع يديك عليها لتبرأ»	«إن لمستُ ولو ثيابه برِئتُ» (٥: ٢٨)
إرتمى على قدمَيْه (٥: ٢٢)	إرتمت على قدمَيْه (٥: ٣٣)
«لا تخف...»	«فخافت المرأة وارتجفت» (٥: ٣٣)
«... آمِن فحسب» (٥: ٣٦)	«إيمانُكِ خلّصَكِ» (٥: ٣٤)

يتكلّم سابقًا بصيغة الجمع، «**أشفِق علينا وأغِثنا** . . .» (آية ٢٢) يتكلّم الآن بصيغة المُفرَد. تلك هي الصلاة الفاعلة التي يُقدّمها يسوع إلى تلاميذه كي يقتدوا بها.

لقد نجح أب مفجوع حيث فشِلَ التلاميذ. ويمكنه الآن أن يتوارى عن الأنظار، فيسوع سيُجابه الشيطان ويُحيي الصبيّ. إنّها المرّة الأخيرة التي يقوم فيها بطرد الشيطان. فقد تمَّ حشدُ جميع الوسائل، وصلاة الإيمان الاستثنائيّة تمّ التعبير عنها من قِبَل أبٍ بائس.

المرأة التي قالت «يا ربّ!»

لِنعُد إلى المرأة السوريّة – الفينيقيّة (مر ٧: ٢٤–٣٠). اللقاء فريد من نوعه، ويفتتح مرحلة جديدة في رسالة يسوع الذي عمل لفترة في منطقة وثنيّة لشفاء المرضى (٧: ٣١–٣٧) وليُشبع الجموع (٨: ١–١٠).

يتمّ تقديم المرأة عبرَ مرحلتين: في البداية، هي أُمّ تعِسة تأتي فتُزعج رغبة يسوع بالعزلة، وترتمي على قدميه كما فعل يائيرس (٧: ٢٥). ومن ثمَّ يُكشَف عن هويّتها الوثنيّة في مرحلة لاحقة (آية ٢٦). فهذه المرأة المزعجة هي بحسب مرقس أُمّ قبل أن تكون وثنيّة.

إنّ سبب رفض يسوع هو أخفّ وضوحًا هنا من الرواية الموازية في متّى. ولكي يبرّر ذلك يقدّم مثَل: «**دعي البنين أوّلًا يشبعون، فلا يحسُن أن يؤخَذ خبز البنين، فيُلقى إلى صغار الكلاب**» (آية ٢٧). إنّ كلمة Teknon «ولد» تشير إلى البيت العائليّ: يجب أن لا نُضيّع خبز العائلة على صغار الكلاب. فاعتمدت المرأة على خبرتها ودافعت عن قضيّة صغار الكلاب: «**نعم، يا ربّ، ولكنّ صغار الكلاب تأكل، تحت المائدة، من فُتات الأطفال**» (آية ٢٨). ويستخدم مرقس هنا كلمة Paidion التي لم تعُد تدلّ على العائلة بل على وضعيّة الطفولة، وحالة شخصٍ لم يبلغ بعد سنّ الرشد. الكلمة نفسها تصف الطفل الذي أقامه يسوع في وسط التلاميذ (٩: ٣٧) والفتاة الصغيرة في نهاية هذه الرواية، وهي طريقة للقول إنّ الطفلة الوثنيّة هذه هي طفلة مثل أيّ طفلٍ آخر (٧: ٢٩).

ما نستغربه أكثر في جواب المرأة السوريّة – الفينيقيّة هو بالتّأكيد الصيغة التي تُناديه بها: «**يا ربّ**» (باليونانيّة Kyrie). هل هو مصطلح تنادي به بأدب شخصيّة مرموقة («سيادتكم»، «يا سيّد»)؟ هل هي الخطوة الأولى نحو الاعتراف بسيادة يسوع، وذلك من قِبَل امرأة وثنيّة، وهي الشخصيّة الوحيدة في إنجيل لوقا التي تتكلّم بهذا الأسلوب؟

يبقى السؤال مفتوحًا. ولا يزيل يسوع الالتباس: «**من أجل قولك هذا، اذهبي، فقد خرج الشيطان من ابنتكِ**» (٧: ٣٠). ويمكن أن يكون هذا القول هو جواب المرأة أو فقط لأنّها قالت «**يا ربّ**». وفي الحالتين، تبقى هذه المرأة التي في البؤس استثنائيّة، والدليل على ذلك أنّه العمل الوحيد الذي يتمّ فيه طرد الشيطان عن بُعدٍ في إنجيل مرقس.

جرأة الوالدَين

ما الذي نستنتجه من الروايات الثلاث هذه؟ علينا أن نتذكّر جرأة الأهل الثلاثة. يائيرس الذي بسجوده يُكذّب السلوك العدوانيّ تجاه يسوع في المجامع، فهو أبٌ في محنة كأيّ أبٍ آخر؛ ويسوع يُجابه الموت للمرّة الأولى. وتفرض المرأة السوريّة - الفينيقيّة نفسها على خصوصيّة بيت يسوع وتتوصّل إلى إنهاء رفضه الأوّليّ؛ ويقوم يسوع بمعجزة عن بُعد للمرّة الأولى. والأب الذي يشعر بالعجز تجاه الروح النجِس الذي يسكن ابنه يصبح نموذجًا للصلاة في قلب اليأس؛ إنّه آخر مشهد لطرد للشيطان من قِبَل يسوع.

يمكننا الإشارة أيضًا إلى الانتباه الذي يوليه يسوع للأولاد، إنّه يأخذ بيد الفتاة ابنة يائيرس ويأمرهم بأن يطعموها (مر ٥: ٤١-٤٢). يستفهم عن أعراض مرض الصبيّ المُصاب بالصرَع ويأخذ بيده وينهضه (٩: ٢١. ٢٥-٢٩). وفي لقائه المرأة السوريّة - الفينيقيّة، لا يذهب قرب سرير الفتاة لكنّها تبقى موضوع الحوار، وآخر ملاحظة من الرواية كانت تخصُّها، فقد تمَّ تحريرها (٧: ٣٠) من ناحية. من ناحيةٍ أخرى، فإنّ مرقس هو الإنجيليّ الوحيد الذي يصف يسوع مرّتين والأطفال بين ذراعَيْه.

متّى والأهل الذين يتألّمون

يصوّر متّى كلّ رهانات العلاقات الممكنة بين الأهل والأولاد: أب/ إبن، أب/ إبنة، أُمّ/ إبنة. إنّ نظرة إلى الجدول التالي تسمح بإدراك بعض السمات المهمّة.

أمام الحالات الاضطراريّة

يُدخل متّى قارئه في قلب المأساة بجعله يسمع صوت الأهل. فنحن نفهم الوضع من فم الشخص نفسه. ويتمّ تقليص التفاصيل إلى أقصى حدّ لفسح المجال لسماع النداء. يأتي قائد مئة، أحد الوجهاء، امرأة كنعانيّة، رجُلٌ، ليقولوا له «**ولدي**»، «**ابنتي**»، «**ابني**»... فيدرك

الشخصيّات	التعبير عن الطلب	ردّ فعل يسوع
قائد المئة (متّى ٨: ٥، ٨، ١٣)	«يا ربّ، إنّ خادمي مُلقى على الفراش في بيتي مُقعدًا يُعاني أشدّ الآلام» (٨: ٦)	إيجابيّة: «أأذهب أنا لأُشفيه؟» (٨: ٧)
أحد الوجهاء (متّى ٩: ١٨، ٢٤)	(سجد له) «ابنتي توفّيَت الساعة، ولكن تعال وضع يدك عليها لتحيا» (٩: ١٨)	إيجابيّة: «فقام يسوع فتبعه هو وتلاميذه» (٩: ١٩)
الكنعانيّة (متّى ١٥: ٢١)	(سجدت له) «رُحماك يا ربّ، يا ابن داوُد، إنّ ابنتي يتخبّطها الشيطان تخبُّطًا شديدًا» (١٥: ٢٢)	سلبيّة: «لا يُحسَن أن يؤخَذ خبز البنين فيُلقى إلى صغار الكلاب» (١٥: ٢٦). إيجابيّة: «ما أعظم إيمانك أيّتها المرأة» (١٥: ٢٨)
رجُل (متّى ١٧: ١٤)	(جثا له) «يا ربّ، أشفق على ابني، فإنّه يُصرَع في رأس الهلال، وهو يعاني آلامًا شديدة» (١٧: ١٥)	جوابٌ تمهيديّ: «أيّها الجيل الكافر الفاسد، حتّامَ أبقى معكم؟ (...) عليَّ به إلى هنا!» (١٧: ١٧)
أُمّ ابنَيْ زبدى (متّى ٢٠: ٢٠)	(سجدت له) «مُرْ أن يجلس ابنايَ (...) في ملكوتكَ» (٢٠: ٢١).	إيجابيّ: «ماذا تُريدين؟» (متّى ٢٠: ٢١). سلبيّ: «إنّكما لا تعلمان ما تسألان» (٢٠:٢٢)

القارئ أنّه أمام أبٍ أو أُمّ. إنّ يائيرس في مرقس ولوقا هو رئيس مجمع، في حين أنّه في متّى ليس سوى أحد الوجهاء المجهولي الاسم، والذي أمام وضع اضطراريّ يقطع الحديث ويسجد ويخاطب يسوع من دون أن يُناديه بأيّ لقَب: «**إبنتي توفّيَت الساعة**...» (متّى ٩: ١٨).

لثلاث مرّات يصف صوت الأب أو الأمّ أعراض المرَض بنبرةٍ عاطفيّة شديدة يؤدّي فيها ظرف الزمان والمكان دورًا رئيسًا: الولد/الخادم مُقعَد، «**يعاني أشدّ الآلام**» (٨: ٦). إبنة الكنعانيّة «**يتخبّطها الشيطان تخبُّطًا شديدًا**» (١٥: ٢٢) والصبيّ يُصرَع في رأس الهلال «**ويعاني آلامًا شديدة**» (١٧: ١٥). إنّ فعل «**يُعاني**» يعود فيظهر عند الإعلان عن الآلام (١٦: ٢١؛ ١٧: ١٢).

والفروقات في الجنس أو الوضع الاجتماعيّ أو غيرها تُقاس بالألم الذي يتمّ التعبير عنه، ألم يصبح فيه الولد

والأب أو الأمّ وكأنّهم شخصٌ واحد. فالكنعانيّة تصرخ: «**إرحمني**، (...) **أغِثني!**» (١٥: ٢٢، ٢٥). لا شكّ في أنّنا نلاحظ هنا أسلوب الرواية، «تأثيرًا حقيقيًّا»، يجعل المشهد أشدّ مأساويّة.

وردّات فعل يسوع فوريّة. فهو يؤكّد لقائد المئة: «**سأذهب أنا لأشفيه**» (٨: ٧). ويتبع الرجل الوجيه (٩: ١٩)؛ وهي المرّة الوحيدة في العهد الجديد التي يقوم فيها يسوع ليتبع أحدهم: (عادةً، يقوم الآخرون ليتبعوه)، وقد التقى أيضًا المرأة المنزوفة، ودخل البيت حيث الجميع في حِداد، وواجه سخريّة الجمع (٩: ٢٤). وأمام عناد المرأة الكنعانيّة، يرفض في البداية الاستجابة لأنّ طلبها يتعارض وتوجُّه رسالته الأساسيّ: «**لم أُرسَل** [من الله] **إلّا إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل**» (١٥: ٢٤). وإذا كان قد استجاب لسؤال هذه الأمّ وأُعجِبَ بإيمانها، فعلى مثال أليشع الذي تبع المرأة الشونميّة إلى فراش ولدها الذي مات (٢ مل ٤: ٢٧-٣١).

إثنتان من الأمّهات

ونظرًا إلى عدم إمكانيّة معالجة كلّ شخصيّة بتعمُّق، لنلاحظ بعض ملامح المرأتَيْن المختلفتَيْن هاتَيْن ظاهريًّا: الكنعانيّة وأُمّ ابنَيْ زبدى.

الأمّ الوثنيّة: أن تتوجّه النساء مباشرةً إلى يسوع في إنجيل متّى هو أمر غير مألوف. الكنعانيّة هي الوحيدة التي جعلته يغيّر رأيه. وللمرّة الأولى تتكلّم وإيّاه امرأة وثنيّة، وللمرّة الأولى لا يُجيب يسوع (١٥: ٢٣). وتدخُّل التلاميذ يسمح لنا بفهم أسباب صمته: فهمه أنّ رسالته هي من أجل «**الخراف الضالّة من بيت إسرائيل**» (١٥: ٢٤). لكنّ المرأة الكنعانيّة تتكلّم لغة إسرائيل، وتستخدم تعبيرًا مشيحانيًّا: «**يا ربّ، يا ابن داوُد**»، وهي تصيغ مداخلتها الثانية بحسب المزامير: «**أغثني يا ربّ**» (١٥: ٢٥؛ مز ١٠٨: ٢٦ [السبعينيّة]). إنّ رفض يسوع يُترجَم في لغة الوثنيّين بالتّأكيد اللاهوتيّ الذي قاله للتلاميذ: «**كما أنّني لم أُرسَل إلّا إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل، كذلك لا يُحسَنُ أن يؤخَذ خبز البنين** [= إسرائيل] **فيُلقى إلى صغار الكلاب** [الوثنيّين]». وتستمرّ المرأة باستخدام الاستعارة نفسها وتُصرّح بأنّها جاهزة للاكتفاء «**بالفُتات**» من أجل ابنتها. فيُذعن يسوع عندئذٍ لطلبها، وقد يكون ذلك كما أذعن الله لإصرار صلاة إبراهيم أو موسى (تك ١٨: ٢٢-٢٣؛ خر ٣٢: ١٤). المفارقة هي أنّ المرأة الوثنيّة هذه ستُسجَّل مع كبار المُصَلّين في إسرائيل.

الأمّ اليهوديّة: في نهاية الإنجيل هناك ظهور وجيز لمرّتين «**لأُمّ ابني زبدى**» (متّى ٢٠ : ٢٠؛ ٢٧ : ٥٦). هذه التسمية غريبة بالنسبة إلى القارئ المعاصر: إنّها بدون اسمٍ ولا يتمّ تعريفها نسبةً إلى علاقتها الزوجيّة بل إلى كونها أُمّ يعقوب ويوحنّا (اللذَيْن يُستكمَل اسمهما باسم والدَيْهما).

تتدخّل هذه الأُمّ برفقة ولديها في الوقت الذي أعلن فيه يسوع عن آلامه (٢٠ : ١٧-١٩). ويكتشف القارئ أنّ أوّل مَن دُعيا فتركا السفينة وأباهما (٤ : ٢١) لم يتركا أمّهما التي جعلت نفسها المتحدّثة باسمهما (٢٠ : ٢١) قبل أن تختفي من المشهد. ويدور الحوار الذي يلي بين يسوع والأخوَين: إنّه لا يملك أن يُجلِسَهما عن يمينه وعن شماله (٢٠ : ٢٢-٢٣). لا شكّ في أنّ هذا المشهد يحوي كثيرًا من السخريّة الخاصّة بمتّى، إذا أخذنا بعين الاعتبار سياق الكلام: فمن جهة، يبدو أنّ التلاميذ لم يفهموا معنى الإعلان عن الآلام؛ ومن جهةٍ أخرى، نجد في المقطع الذي يلي صراخ الأعميَيْن وقد أثار بعمق شفقة يسوع (٢٠ : ٣٤)، في حين لم يتوصّل طلب الأُمّ إلّا إلى إثارة استياء باقي التلاميذ العشرة (٢٠ : ٢٤). وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ طموح الأُمّ وابنيها يبدو سخيفًا مقارنةً بالكنعانيّة التي سجدت هي أيضًا، ولكن لتطلب أن تحيا ابنتها (١٥ : ٢٥).

بيد أنّ هناك ظهورًا آخر لأُمّ ابنَيْ زبدى. إنّها من ضمن النسوة اللواتي وقفنَ أمام الصليب ينظرنَ عن بُعدٍ في حين تخلّى التلاميذ بأجمعهم عن يسوع (٢٧ : ٥٦). ويوضّح متّى أنّ هؤلاء النسوة قد تبعنَ يسوع من الجليل لخدمته (٢٧ : ٥٥). ليس هناك أيّ مؤشّر أدبيّ يسمح لنا بإعادة بناء المسار الذي قاد هذه المرأة من رغبتها الحصول على المجد لولديها إلى التأمُّل بالصليب، حيث شغل لصّان يمينه وشماله. لكنّها هنا. ويمكننا فقط ملاحظة أنّها قد انفصلت الآن عن ولدَيْها.

الآب السماويّ

في نهاية هذا المسار من إنجيل متّى مع الأهل الّذين يعانون، يمكننا أن نُسجّل الشحنة العاطفيّة في كلٍّ من هذه اللقاءات، حيث يتردّد في كلّ مرّة صدى صوت معاناة فريد من نوعه. ويظهر مسيح متّى في آخر الأمر ضعيفًا، ألم يغوص في الخبرة الوالديّة لكي يصِف صلاح الله؟ «مَن منكم إذا سأله ابنهُ رغيفًا أعطاهُ حجَرًا، أو سأله سمكةً أعطاهُ حيّة؟ فإذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون أن تُعطوا العطايا الصالحة لأبنائكم، فما أولى

أباكم الذي في السموات بأن يُعطي ما هو صالح للّذين يسألونه!» (متّى ٧: ٩-١١).

لوقا والأولاد الوحيدون

قبل أن نتناول رواية إحياء ابن أرملة نائين (لو ٧: ١١- ١٧)، وهو مقطع خاصّ بلوقا، يُبيّن لنا الجدول التالي بعضَ السمات المميّزة في لقاءات يسوع والأهل الذين يُعانون:

على نمَط إيليّا وأليشع

الأولاد الثلاثة الذين سبق ذكرهم هم أولادٌ وحيدون، وهذا يزيد ألم والدَين مهدّدَين بإمكانيّة عدم استمرارهما في الحياة من طريق ذرّيّتهما. وفي هذا المجال فإنّ صوت والد الصبيّ المُصاب بالصرَع مؤثّر بشكلٍ خاصّ: «**إنّه وحيدي**» (لو ٩: ٣٨).

تُعيدنا السِمة الخاصّة بلوقا هذه إلى كلّ قصص الأبناء الوحيدين والمنتشرين في الأدب الكتابيّ: إسحق (عب ١١: ١٧)، ابنة يفتاح (قض ١١: ٣٤)، طوبيّا الشابّ (طو ٦: ١٥)، وبوجهٍ خاصّ ابن أرملة صرِفَت وابن المرأة الشونميّة، حيث إنّ يسوع وضع نفسه تحت جناح الأنبياء إيليّا وأليشع عندما كان في الناصرة (لو ٤: ٢٤-٢٧). فكلٌّ من هذَيْن النبيَّين أحيا الابن الوحيد للمرأة

الشخصيّات	الصِلة بالولَد	يسوع، إيليّا الجديد
قائد المئة (لو ٧: ١-١٠)	«وكان (الخادم) عزيزًا عليه (Entimos)» (٧: ٢)	
أرملة نائين (لو ٧: ١١-١٧)	«إذا ميت محمول، وهو ابنٌ وحيد لأمّه وهي أرملة» (٧: ١٢)	«فسلّمهُ إلى أُمّه» (٧: ١٥) «قام فينا نبيٌّ عظيم، وافتقد الله شعبهُ» (٧: ١٦)
يائيرس (لو ٨: ٤٠-٤٢. ٤٩-٥٦)	«لأنّ له ابنة وحيدة في نحو الثانية عشرة من عمرها، وقد أشرفت على الموت» (٨: ٤٢)	«فرُدَّت الروح إليها» (٨: ٥٥)
أبو الولد المُصاب بالصرَع (لو ٩: ٣٧-٤٣)	«يا معلّم، أسألكَ أن تنظر إلى ابني فإنّه وحيدي» (٩: ٣٨)	«وردَّهُ إلى أبيه» (٩: ٤٢)

التي استضافتهُ (١ مل ١٧ : ١٧-٢٤؛ ٢ مل ٤ : ٨-٣٧). لقد «**أعيد**» ابن أرملة نائين والصبيّ المُصاب بالصرَع إلى أهلهما مثلما «**أُعيدَ**» ابن أرملة صرفَت إلى أُمّه (١ مل ١٧ : ٢٣) من ناحية. من ناحيةٍ أخرى، وفي الترجمة اليونانيّة السبعينيّة، يتمّ التعبير عن صلاة إيليّا بعبارة قريبة من رواية ابنة يائيرس: «**فقال إيليّا: أيّها الربّ إلهي، لتعُد (باليونانيّة Eîstrephô) روح الولد إلى جوفه**» (١ مل ١٧ : ٢١). في حين يؤكّد لوقا أنّه بنداء يسوع «**رُدَّت الروح إليها** [الصبيّة]» (لو ٨: ٥٤). ففي نظر لوقا، يسوع هو حقًّا إيليّا الجديد. وبحسب نصّ رواية أرملة نائين، إنّه حتّى أعظم من إيليّا.

قائد المئة والأرملة (لو ٧: ١-١٧): بعد عظة يسوع في مكانٍ منبسِط (لو ٦ : ٢٠-٤٩)، تتتابع روايتا لقاءٍ متباينتان تمامًا: رجلٌ وثنيّ وامرأة يهوديّة، كلاهما يعانيان شِدّة، ويُبدي يسوع استعداده لمساعدتهما. فلنُشِر إلى بعض هذه التباينات.

قائد المئة وخادمه (٧: ١-١٠): يُرسل قائد المئة وفدَين ليسوع من أجل أن يطلب شفاء خادمه: الأوّل يتألّف من أعيانٍ يهود، فيمتدحون استحقاقاته: «**إنّه يستحقّ. . .**» (لو ٧: ٥)؛ والثاني يتألّف من أصدقائه فيكتفون بترداد ما قاله لهم: «**إنّي لستُ أهلًا. . .**» (٧: ٦). ولا تنتهي الرواية بعبارةٍ يصرفه بها بعد أن نال الشفاء. فإعجاب يسوع، على ما يبدو، هو الذي أثار عمليّة الشفاء عن بُعد.

بالمقارنة بنصّ متّى (متّى ٨: ٥-١٣)، فإنّ رواية لوقا تتضمَّن تفصيلًا يستحقّ أن نُشير إليه: إنّ الخادم «**المُشرف على الموت**» هو «**عزيزٌ**» على سيّده الذي كان «**يُقدِّرهُ كثيرًا**» (٧: ٢). بهذا الأسلوب على ما يبدو، أراد لوقا أن يُقرِّب وضع قائد المئة من وضع الأهل الذين يُعانون.

لنُلخِّص هذا اللقاء ببعض النقاط: المبادرة تأتي من قائد المئة؛ إنّه رجلٌ مُحاط بكثيرٍ من الناس، فلديه أشخاصٌ يتوسّطون له وأصدقاء، وإيمانه يُثير إعجاب يسوع، وشفاء خادمه هو ثمرة صلاته المتواضعة والمليئة بالإيمان.

الأرملة وابنها (٧: ١١-١٧): وبالعكس، فإنّ اللقاء بأرملة نائين يأتي بمحض المصادفة. في بداية الرواية (٧: ١١-١٢) تلتقي مجموعتان: التلاميذ يسيرون مع يسوع «**ومعهم جمعٌ كثير**» (٧: ١١)؛ ومع الأرملة المحزونة «**جمعٌ كثير**». وقد ألّفَ الجمعان لاحقًا شعبًا يتّحد ليهتف في النهاية كجوقةٍ واحدة (٧: ١٦؛ راجع النصّ ضمن الإطار).

لم تقُم الأرملة بأيّ حركةٍ، ولم تتوسّل

إلى يسوع؛ فقد كان حزنها يُخبِر عنها. وفي الواقع فإنّ الدافع الوحيد لعمل الإحياء هذا في الطريق هو «**شفَقة الربّ**» (٧: ١٣). وإذا كانت الشخصيّات في لوقا تستخدم في كثيرٍ من الأحيان هذا التعبير عندما يخاطبون يسوع، فإنّها المرّة الأولى التي يستخدمه فيها الراوي، وهي المرّة الأولى التي نرى «**الربّ**» وقد «**أخذته الشفقة**» (باليونانيّة Splagkhnizomai، التي تعني حرفيًّا «تحرّكت أحشاؤه»). ويترافق هذا الفعل دومًا مع الفعل «رأى»، سواء في مثَل السامريّ الصالح عند مروره بالرجل الجريح أو في أبي الابن «الضالّ»: «**فلمّا رآهُ - رآها، أخذته الشفقة**» (٧: ١٣؛ ١٠: ٣٣؛ ١٥: ٢٠).

ويقول الربّ عبارتين موجزتين، للأرملة أوّلًا: «**لا تبكي!**»، ثمّ للشابّ المتوفّي: «**يا فتى، أقول لكَ: قُمْ!**» (٧: ١٣-١٤). وهما تُحيطان حركة لمس النعش (وبالتالي الموت، وهذا، بدون شكّ، مخالفة لشريعة الطهارة). وفي النهاية، «**يُعيد**» يسوع الفتى إلى أُمّه، كما أعاد إيليّا ابن أرملة صرفَت إليها. لكنّ المشهد يتمّ هنا بشكلٍ علنيّ ممّا يؤدّي في النهاية إلى هتافٍ، يُعترَف فيه للمرّة الأولى بأنّ يسوع هو «**نبيٌّ عظيم**» (٧: ١٦). إنّ الفارق الكبير بين إيليّا ويسوع يأتي من مجّانيّة الحركة التي قام بها. كان إيليّا مُلزَمًا تجاه أرملة صرفَت التي أطعمته (١ مل ١٧: ١٧، ٢٠)، في حين لم يكن يسوع مدينًا بأيّ شيء لهذه الأرملة التي التقاها صدفةً. أرملة لم تفُه بكلمة، ولم يكُن لديها سوى حزنها ليدافع عن قضيّتها، بعكس قائد المئة الذي كانت لديه علاقات، وأصدقاء، وإيمان.

نحو الآب الرحيم

يؤكّد لوقا، أكثر من متّى ومرقس، التوازي بين إيليّا ويسوع. فمع ابنة يائيرس وابن أرملة نائين، يظهر تفوُّق يسوع في قدرته. كلمة وحركة تكفيان، في حين كان على إيليّا أن يُضاعف جهوده فوق جثمان ابن الأرملة (١ مل ١٧: ١٩-٢٢). لكنّ الوضع هو نفسه في إنجيل مرقس وفي إنجيل متّى. وفي الواقع، فإنّ عظَمة المسيح في لوقا تأتي من صلاحه الذي ظهر خصوصًا وبشكلٍ ساطعٍ في أثناء لقائه بأرملة نائين.

لكنّ لوقا يترك المجال لدور الأهل. ففي لو ٨: ٥٦، وبعد إحياء الصبيّة، «**دُهِشَ**» الأهل (وهو ما لم يُشر إليه مرقس). وفي ٩: ٤١، يطلب يسوع من الأب أن يأتيه بابنه (في مرقس ٩: ١٩ يستخدم صيغة الجمع غير المحدّد).

وحركة رَدّ الولد إلى أُمّه أو أبيه (٧: ١٥؛ ٩: ٤٢)، حتّى ولو أنّها تُسجَّل كإعادة واضحة لما قام به إيليّا، يمكن تفسيرها انتباهًا شديدًا من قِبَل المسيح إلى حال الأهل.

ألَم يكُن على ذاك الذي يتكلّم على الله بصورة أبٍ متعاطف مع ابنه الضالّ (لو ١٥: ١١-٣٢) أن يُظهِر هو نفسهُ تعاطفه مع آباء وأُمّهات على وشك أنْ يفقدوا أولادهم؟ إنّ لوقا يعقد لُحمةً متينة بين روايات اللقاءات بيسوع والأمثال التي يرويها. والواقع أنّ كلّ رواية من روايات لقاء يسوع بأهلٍ أولادهم في خطر - إن لم يكونوا قد ماتوا - يسبقها مثَل يحكي على أبٍ رحيم.

الخاتمة

في الأناجيل الإزائيّة، يتميّز الأهل الذين يتوسّطون إلى يسوع من أجل أولادهم عن باقي المجموعات المجهولة الاسم التي تتوسّل إليه: الأشخاص المُحيطون بحماة بطرس أو الأشخاص الّذين حملوا المُقعَد لا تنقصهم الجرأة (والإيمان)، لكنّنا لا نسمع صوتهم. إنّنا نسمع فقط الصوت المتوجِّع من أبٍ أو أُمّ (لا نسمع أبدًا الاثنين معًا): «**يا ربّ، أشفِق على ابني**» (متّى ١٧: ١٥). باستثناء أرملة نائين، فإنّ تضرُّع الأهل هو الذي يجعل الولد على اتّصالٍ بيسوع. وأمام المأساة، نرى يسوع مُنسجمًا مع نفسه، بدرجات متنوّعة من الانفعال والطيبة، مهما كانت الأناجيل.

ومع ذلك يجب أن نؤكّد مُفارقةً وهي أنّ كلّ هؤلاء الأولاد المستفيدين من قدرة يسوع، وهم في الواقع الأشخاص الرئيسيّين في تلك الروايات (فأحداث القصّة تدور عليهم)، لا يتكلّمون أبدًا على أنفسهم. وانطلاقًا من وجهة النظر هذه، فإنّ الروايات الإنجيليّة تخضع لعصرٍ لم تكن فيه مطلقًا وضعيّة الأطفال كما هي عليه في يومنا هذا. وحده متّى يُبرز حدَث الأطفال الذين هتفوا في الهيكل: «هوشعنا لابن داوُد!» (متّى ٢١: ١٥). فيدافع يسوع عنهم أمام عُظماء الكهنة الذين استاؤوا، ولكنّهم لم يقوموا سوى بترداد ما قاله الأشخاص البالغون من قبلُ في النصّ الذي سبَق (متّى ٢١: ٩).



في سياق الكلام على اللقاءات

قد يكفي في نهاية هذا المسار أن نعود إلى الأسئلة التي طرحناها في المقدّمة: مَن هم هؤلاء الأشخاص الذين التقاهم يسوع؟ كيف التقاهم؟ ولماذا؟

في معالجتنا هذه الأسئلة، ينبغي بطبيعة الحال أن نبقى متواضعين: فقد تركّزت جهودنا على عددٍ قليل من النصوص المستلّة من الأناجيل الإزائيّة. فهذه الدراسة لا تؤدّي إلى تكوين صورة كاملة عن المسيح في العهد الجديد، ولا حتّى إلى محاولة فهم يسوع التاريخ، على الرغم من أنّ النقاط المستخلصة يمكنها أن تسمح لنا، على ما نعتقد، بفهمٍ أفضل لسرّ يسوع. الموضوع بالحريّ هو التركيز على بعض السِمات الخاصّة بيسوع المسيح رجل العلاقات، كما يراه مرقس ومتّى ولوقا.

مَنْ هم الأشخاص الذين التقاهم يسوع؟

هناك أمرٌ واضح في أيٍّ من الأناجيل: يسوع يلتقي بمجموعة متنوّعة من الأشخاص.

- رجال ونساء: في المجتمعات اليهوديّة واليونانيّة حيث الفصل بينهم واضح للغاية، يلتقي يسوع بعدد من النساء (انظر الجدول ضمن الإطار). كلّ من هذه اللقاءات فريدٌ من نوعه: حماة بطرس أخذت تخدم؛ المرأة المنزوفة تتصرَّف بدون علم يسوع؛ المرأة الكنعانيّة/السوريّة - الفينيقيّة تجعله يُغيّر رأيه؛ الأرملة الفقيرة يتمُّ الانتباه إليها وتأمُّلها.
- أغنياء وفقراء: الرجل الغنيّ لا عيب فيه من ناحية تطبيقه الشريعة؛ يائيرس

	مجموع اللقاءات	عدد النسوة
متّى	٢١	٥ نساء، فتاتان
مرقس	١٨	٤ نساء، فتاتان
لوقا	٢٤	٨ نساء، فتاتان (+ لائحة بالنساء في لو ٨: ١-٣)

رئيس المجمع هو أحد الوجهاء، وزكّا رئيس جباة الضرائب يحتَلُّ منصبًا يؤمّن له الرفاهية. وبالعكس، نجد في أسفل السُلّم الاجتماعيّ أراملَ مُعدمات وشحّاذين.

- الغُرباء ليسوا قلائل: قائد المئة الرومانيّ، الرجل الممسوس عند الجِراسيّين، الكنعانيّة/السوريّة - الفينيقيّة، السامريّ الأبرص؛ وظهورهم في الروايات يسبّب دومًا نوعًا من الدهشة.
- يُشكّل المرضى مجموعة محدّدة. إنّهم الممسوسون، البُرص، العميان، الصُمّ الخُرس غير المؤهّلين لأن يُسبّحوا الله، إلخ. المرأة المُصابة بالنزيف تُعتبَر نجِسة. من النجاسة إلى الخطيئة لا توجد سوى خطوة واحدة، وهكذا فإنّ إعاقة مُقعَد كفرناحوم تصبح صورة للخطيئة، وشفاؤه صورة للغفران.
- تشمل فئة الأهل كلّ الطبقات الاجتماعيّة. أن يكون يائيرس رجُلًا وجيهًا هو أقلّ أهمّيّةً من كونه أبًا اختلطت عليه الأمور. وينضمّ بذاك إلى الرجل المجهول الاسم الذي يخرج من الجمع مع ابنه المُصاب بالصرَع، والذي يتملّكه روحٌ نجِس.

إنّ العبور السريع هذا ضمن الأناجيل الإزائيّة يُثير عدّة ملاحظات:

- في تنوّع اللقاءات الشديد هذا، هناك نبرة واضحة لصالح الفقراء والمتألّمين والمُهمَّشين. ويبدو لنا أنّ لعبة التناقضات بين الشخصيّات (فقير/غنيّ، رجل/امرأة...) تهدف إلى تسليط الضوء على هذا التحيُّز؛ ويتمّ تعزيز هذا الاتّجاه في إنجيل لوقا.
- هناك أمكنة لا يذهب يسوع إليها مُطلقًا. فعظماء قومه يتجاهلونه. فرواية موت يوحنّا المعمدان، من ناحية، عند الملك هيرودس في مرقس ومتّى (مر ٦: ١٧-٢٩ // متّى ١٤: ٣-١٢) تتناقض مع زيارة يسوع الناصرة (مر ٦: ١-٦ // متّى ١٣: ٥٣-٥٧)، ثمّ اللقاء بالسوريّة/الفينيقيّة/الكنعانيّة (مر ٧: ٢٤-٣٠// متّى ١٥: ٢١-٢٨). ومن ناحية أُخرى، يسوع، قبل محاكمته، لا يلتقي بأيّ شخصٍ يُمثّل الطبقة الكهنوتيّة.
- من بين الأشخاص الذين التقاهم، يائيرس، برطيماوس، زكّا والرسل يحملون اسمًا، في حين أنّ غالبيّة الأشخاص مجهولو الاسم، ويتمّ التعريف عنهم بالعاهة المُصابين بها (برَص، شلل، عمى، نزيف، صرَع...)، وأحيانًا بالمنطقة الجغرافيّة التي ينتمون إليها: الأصَمّ -

الأخرس من المدن العشر، الأعمى الذي من بيت صيدا أو من أريحا، الأبرص السامريّ، بالطريقة نفسها التي نقول فيها اليوم «المتشرّد الذي في ساحة البلديّة» أو «الزوجان اللذان في الطبقة الرابعة بالمبنى». إنّ عدم الكشف عن اسمهم يعرض على القارئ إمكانيّة أن يتماهى معهم بالرغم من حضورهم العابر والسريع. إنّه يساعد على إبراز هامشيّتهم أو فقرهم. وبالعكس، على تأكيد اختيار يسوع. ففي مجتمع القرن الأوّل كما في مجتمعنا، ليس للفقراء اسم، وغالبًا ما يكون بؤسهم وعجزهم هو العلامة على هويّتهم.

- إذا استثنينا أُمّ ابنَيْ زبَدَى (متّى ٢٠ : ٢٠-٢١؛ ٢٧ : ٥٦)، لا يعود أيّ واحد منهما يظهر في نهاية القصّة. ذلك هو الحال أيضًا في العديد من روايات العهد القديم، وأحد الاستثناءات هو رواية المرأة الشونميّة. «إمرأة لها صفة معيّنة» لكنّها مجهولة الاسم، تستقبل أليشع في بيتها، وتتوسّل إليه من أجل ابنها الميت (٢ مل ٤ : ٨-٣٧)، وتهاجر إلى بلدٍ غريب بناءً على نصيحة النبيّ وتعود في الوقت الذي يروي فيه جزّاي، خادم النبيّ، للملك قصّة إحياء ابنها (٢ مل ٨ : ١-٨). في إنجيل مرقس، إنّ تعاقب الشخصيّات الثانويّة التي تظهر مرّة واحدة يوفّر للرواية نوعًا من الترقيم في السرد ويساعد على المطابقة مع الشخصيّات الرئيسة، خاصّةً الرسُل (المطابقة بين برطيماوس وابنَيْ زبَدى).

كيف التقاهم يسوع؟

وقبل أيّ شيء، كيف تكلّم وإيّاهم؟ ففي حين يستعمل مُخاطبوه لقبًا حين يخاطبونه: «**يا مُعلّم**»، «**يا سيّد**»، «**يا ربّ**»، «**يا ابن داوُد**»، يُجيب يسوع من دون أن يُربِك نفسه بكلمة نِداء معيّنة. والحالات الاستثنائيّة لا تكاد تُذكَر.

وهكذا، في مرقس ومتّى، عندما يُخاطب يسوع المُقعَد أمام الشعب، يقول له «**يا بُنَيّ**...» (مر ٢ : ٥ // متّى ٩ : ٢) قبل أن يغفر له خطاياه. وكذلك، المرأة المنزوفة تسمعه يقول لها «**يا ابنتي**...» (مر ٥ : ٣٤ و//)، وكأنّ يسوع يقيم بالمرأة المعزولة المُهمّشة هذه علاقة على مثال علاقة يائيرس بابنته الصغيرة. ويقول للمرأة المنحنية الظهر في لوقا ببساطة: «**يا امرأة**...» (لو ١٣ : ١٢)، لكنّ الكنعانيّة في متّى تجده يناديها «**أيّتها المرأة**...»، وهو تعبيرٌ فريد من نوعه (متّى ١٥ : ٢٨).

إلتزامٌ قلبًا وقالبًا: يطرح يسوع أسئلة: «**أتُبصر شيئًا؟**»، «**منذ كم يحدث له هذا؟**»... إنّه يسمع صراخ الأعمى الذي انتهروه لكي يسكُت (مر ١٠: ٤٩ و//). إنّه مُلتزم جسديًّا في أثناء اللقاء: فهو ينتقل إلى البيت حيث الشخص الذي في خطر طريح الفراش، يده تُطهّر وتشفي، ينظر إلى الحقائق التي لا تُرى: إنّه «يرى» إيمان الأشخاص الذين حملوا المُقعَد، حتّى في متّى حيث لم يقتحموا السقف ويثقبوه (متّى ٩: ٢ و//)؛ إنّه يُميّز الأرملة بين الجموع في الهيكل ويرى أنّها ألقت بكلّ ما تملك لمعيشتها. إنّه يترك الناس يلمسونه، ويمسكون طرف ردائه. ويذهب مرقس بعيدًا في وصفه الالتزام الجسديّ هذا عندما يُظهِر يسوع وقد جعل إصبعَيْه في أُذُنَي الأصَمّ - الأبكم ولمس لسانه بلعابه (مر ٧: ٣٣)، ثمّ، في نصٍّ لاحق، عينَيْ أعمى بيت صيدا (٨: ٢٣).

إنّ التزام يسوع جسدًا وروحًا يُترجَم أيضًا بالمشاعر العميقة التي تنتابه أمام الألم. إذ «**تأخذه الشفقة**»: في متّى لصُراخ الإيمان النابع من أعميَي أريحا اللذَين يقوم من أجلهما بواحدةٍ من آخر عمليّات الشفاء (مر ١: ٤١)؛ وفي لوقا، من أجل أرملة نائين (لو ٧: ١٣).

خطر الفشَل: إذا نظرنا إلى مسار الأناجيل الإزائيّة المشترك، كما حاولنا أن نفعله، علينا أن نلاحظ أنّ يسوع يُعرّض نفسه للمخاطر والفشل. فبعد شفاء الرجل ذي اليد الشلّاء، تآمر خصومه عليه (مر ٣: ٦ و//)، وفي مكان آخر طردوه من منطقةٍ وثنيّة بعد أن أخرج الشيطان من ممسوس (مر ٣: ١٧ و//)، وفي البيت الذي يغمره الحِداد سخروا منه (مر ٩: ٤٠). وهكذا يتمّ السير بالقارئ تدريجيًّا نحو الآلام؛ وممّا لا شكّ فيه أنّه يتمّ تحذيره تجاه الإغراء بأن يُشبّه الأعمال القديرة التي يقوم بها يسوع بأعمالٍ سحريّة تخدم مصلحته بالشهرة.

بل إنّه الواقع: ما من عمل شفاء يهدف إلى زيادة عدد التلاميذ. ويُشير لوقا بشكلٍ عابر إلى نساء شفاهنَّ يسوع (لو ٨: ١-٢)، لكنّ القارئ لم يشاهد الحدَث. وفي آخر الأمر فإنّ أعمى أريحا هو الوحيد الذي يتبع يسوع. فممسوس الجِراسيّين أراد أن يتبع يسوع، لكنّ يسوع منعه من ذلك، ودعاه بالحريّ إلى الشهادة عند الوثنيّين بما صنعه له الربّ (مر ٥: ١٩-٢٠ // لو ٨: ٣٨-٣٩). إنّ الامتنان الذي يتمّ الإعراب عنه هنا نادرًا ما يحصل. فمن البرص العشرة يعود السامريّ فقط لكي يُقدّم الشكر.

مجّانيّة الخلاص: يتمّ عرض لقاءات يسوع بالتساوي تحت شعار ما هو غير

مُنتظَر والمجّانيّة. إنّ غير المُنتظَر الخاصّ بكلّ لقاء ليس مجرّد ظهور حالة مُفاجئة، دومًا مأسويّة، تفرِض نفسها على يسوع (وعلى القارئ). فهناك أيضًا الظهور المُدهِش ذلك «لزيارة الله» (لو ٧: ١٦) التي يتمّ الكشف عنها بصفتها سبب رسالة يسوع الرئيسيّ. وتُصاحب المجّانيّة هذا الظهور، وتصل إلى ذروتها في مرقس ولوقا عندما تنتزع المرأة المنزوفة شفاءها من دون أن تأخذ رأي يسوع، أو أيضًا عندما يُحيي يسوع، في لوقا، ابن أرملة نائين: فهي لم تطلب منه شيئًا، وهو لم يسأل شيئًا بالمُقابل؛ بعكس إيليّا الذي أنقذته أرملة صرفَت من الجوع أو أليشَع الذي استضافته المرأة الشونميّة.

لماذا التقاهم يسوع؟

يسوع ويوحنّا المعمدان: تُقدِّم الأناجيل نفسها إلى القارئ تحت شعار اللقاء العابر. لقد اختار يسوع أسلوب حياة التجوال الذي يحبّذ هذا النوع من العلاقات. وتكشف لنا المقارنة بينه ويوحنّا المعمدان ما يُفيدنا بوجهٍ خاصّ في وجهة النظر هذه.

يُقدّم إلينا مرقس ومتّى مُباشرةً يوحنّا المعمدان وهو في البرّيّة، ويبيّنان أنّ الناس يأتون إليه (مر ١ : ٤ // متّى ٣: ١٣). وبعد القبض على يوحنّا، يختلف الموضوع في ما يخصّ يسوع. في متّى نراه يترك الناصرة ليأتي إلى كفرناحوم، أرض تجمُّع لمختلف الجنسيّات - أي أرض اللقاءات المتنوّعة، سواء مع اليهود أو مع الوثنيّين - وبذلك يُتِمّ ما قيل في الكتُب (متّى ٤ : ١٢-١٧).

في لوقا تتمُّ الأمور بطريقة مختلفة، فلدينا الانطباع بأنّ هناك تقسيمًا للمناطق: يذهب يوحنّا إلى «**ناحية الأردنّ كلّها**» (لو ٣ : ٣) في حين يذهب يسوع إلى الجليل (لو ٤ : ١٤). والناس يأتون إلى يوحنّا ليعتمدوا عن يده، ومنهم جباة الضرائب (لو ٣: ١٢)، أمّا يسوع فيذهب هو بنفسه إلى الناس: إلى لاوي في بداية رسالته، وإلى زكّا في نهايتها، والاثنان جابيا ضرائب يستقبلانه في بيتيهما (لو ٥: ٢٧-٢٩ و١٩: ٥-٦). وهذا ما جعل الناس يصفون يسوع «**بصديق جباة الضرائب والخاطئين**» (لو ٧: ٣٤ و//).

رسالة المسيح: يؤكّد يسوع على مرِّ اللقاءات أنّه يمتثل لتفويض مُعيّن. الله هو الذي «**أرسله**» (مر ٩: ٣٧ و//). كان ذلك هو السبب الذي واجه به الكنعانيّة في إنجيل متّى: «**لم أُرسَل إلّا إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل**» (متّى ١٥ : ٢٤).

وينحرف السبب الإرساليّ الكبير هذا

في مرقس عن مساره مع الفعل «خرَجَ» في نهاية اليوم الطويل بكفرناحوم: «**لنذهب إلى مكانٍ آخر [. . .] فإنّي لهذا خرجتُ**» (مر ١ : ٣٨) كما فعلَ الزارع «**خرجَ الزارع ليزرع**» (مر ٤ : ٣).

في لوقا، يربط المشهد الافتتاحيّ في مجمع الناصرة (٤: ١٦-٢٩) كلّ نشاطات يسوع ولقاءاته بوجه مسيح الله المُعلَن عنه في أش ٦١: ١-٤، وجهٍ سرعان ما يُبيّن يسوع أنّه يتخطّى الحدود، على مثال النبيَّين الكبيرَيْن إيليّا وأليشع، وهذا يتضارب والتصوّرات الضيّقة جدًّا في فهم سرّ يسوع. «**إفتقد الله شعبه**»: إنّ تمجيد الله من قِبَل الشهود الذين شهِدوا إحياء ابن الأرملة (لو ٧: ١٦) يلتقي بيقين زكريّا (١ : ٦٨-٧٨) ويقين يسوع نفسه (١٩ : ٤٤). لكنّ هذه الزيارة ليست حصريّة: فقبل أرملة نائين كان هناك قائد المئة في كفرناحوم. إنّ افتقاد ذاك «**المُشرِق من العُلى**» (١ : ٧٨)، كما يقول زكريّا، هو «**مجدٌ لشعبكَ [الله] إسرائيل**» كما يقول سمعان، و«**نورٌ يتجلّى للوثنيّين**» (٢ : ٣٢).

إنطباع بعدم الاكتمال

يتساءل القارئ: ما هو مصير كلّ هؤلاء الأشخاص؟ ما الذي فعله الرجل الغنيّ عندما رجع إلى بيته حزينًا؟ والأرملة التي وضعت كلّ ما تملكه لمعيشتها في خزانة الهيكل؟ لقد كثُرَت المحاولات على مَرِّ العصور لتغطية الفراغات في هذه الروايات، لتهبَ على الأقلّ اسمًا لهؤلاء الأشخاص المجهولي الاسم (انظر النصّ ضمن الإطار).

أمّا يسوع فقد ينادي شخصًا باسمه في بعض الأحيان: «**يا زكّا انزل على عجَل. . .**» (لو ١٩: ٥)، لكنّه لم يسمح لنفسه قطّ بأن يسأل محاوره عن اسمه. من المؤكّد أنّ شيطان الجِراسيّين قد استُثنيَ من ذلك: «**ما اسمكَ؟**». فيسوع يسأله كخطوة أولى لعمليّة الشفاء (مر ٥ : ٩ // لو ٨: ٣٠)، لكنّ الرجُل الذي تمَّ تحريره من الشيطان «**جيش**» بقيَ مجهول الاسم، وهذه علامة على مجّانيّة خلاص الله الذي يترجمه يسوع باحترامٍ عميق للأشخاص حتّى درجة عدم الإشارة إلى اسمهم.

لقد حفظت الكنيسة بواسطة الروايات الإنجيليّة ذكرى قصصٍ غير مكتملة، وشخصيّات يُقال إنّها ثانويّة، مجهولة الاسم، بالإضافة إلى الكثير من النداءات من أجل خدمة هؤلاء الصغار الذين هم إخوة ربّنا (متّى ٢٥: ٣١-٤٦).

لإكمال الفراغات

إنّ قرّاء الأناجيل غير راضين دومًا عن فقر روايات لقاءات يسوع. إنّهم يتمنّون إكمال الفراغات، وذلك منذ الزمن القديم. فعلى سبيل المثال، تشرح برديّة *Egerton 2* (القرن الثاني) كيف أصيب الأبرص الذي أبرأه يسوع (مر ١: ٤٠–٤٥ و//) بالمرض: «وإذ كان المعلّم يسوع يسير مع البرص ويأكل معهم في الفندق أصِبتُ بالمرض. إن شئتَ أن تبرأني». ويذكر القدّيس هيرونيمُس في شرحه متّى ١٢: ١٣ مقطعًا من الإنجيل اليهوديّ المسيحيّ الذي لدى النصارى، حيث صاحب اليد الشلّاء «يتوسّل إلى يسوع بهذه العبارات: لقد كنتُ عامل مَلاط، أكسب رزقي من عمل يديَّ؛ أتوسّل إليكَ يا يسوع، أن تُعيد لي صحَّتي حتّى لا أخجل من التسوُّل من أجل قوتي»[١].

لقد أُعطيَ بعضهم اسمًا، كما هو حال «اللصّ اليمين» (لو ٢٣: ٤٠–٤٣) الذي سُمّيَ ديسماس وتُعيّد له الليترجيا في ١٢ تشرين الأوّل (أكتوبر)، أو الصبيّ الذي كان معه خمسة أرغفة وسمكتان (يو ٦: ٩) وأصبح اسمه مارسيال، وهو شفيع أبرشيّة ليموج بفرنسا. أمّا الأرملة الفقيرة فقد بقيَت مجهولة الاسم. وقامت الأعمال الفنيّة (موزاييك، زجاجيّات، لوحات زيتيّة، نحت) بإعطائهم أجسادًا ووجوهًا مثلما أعطت كثيرًا من الشخصيّات الثانويّة. فتظهر صورة الأرملة في رافينا، في موزاييك كنيسة القدّيس أبوليناريوس Saint Apollinaire-le-Neuf، كما أنّها مرسومة في لوحة جداريّة مُكرّسة للمعبد في مُجَمّع الأبنية التذكاريّ للجلجلة في بون شاتو (لوار - أتلانتيك).

منذ رواية **يسوع يرويه يهوديّ تائه** للكاتب إدمون فليغ (1933، هذا اليهوديّ هو المُقعَد الذي شفاه يسوع)، إلى روايات بيير ماري بود، **يسوع، لقاء في الجليل** (٢٠١٠، راجع *Cahier Evangile nº 158*, p. 70)، أو رولان نادوس **الأشخاص المجهولو الاسم في الأناجيل** (٢٠١١)، مرورًا بسلسلة القصص المصوّرة، «رحلات الآباء» (٢٠٠٧–٢٠١٠، راجع *Cahier Evangile nº 153*, p. 60-64)، تظهر دومًا الرغبة نفسها في اكتشاف صمت النصوص الإنجيليّة، وفي متابعة الروايات المُختصرة، أو ابتكار قصص أُخرى على هامشها. وليُسمَح لنا هنا أن نذكّر بكتابٍ لجان أوبران Jean Auburn، الراهب في دير ليغوجيه Ligugé **المنسيّون في الإنجيل** (١٩٨٦). يقترح الكاتب بعض الرسومات التي تدور على النصّ الكتابيّ لترويه بالصوَر، وقد نجح في ذلك بشكلٍ رائع بفضل احتكاكه المتواتر والطويل بالكتب المقدّسة.

---

(١) Pierre Benoit, Marie-Émile Boismard, *Synopse des quatres évangiles en français avec parallèles de apocryphes et des Pères*, t. I. Textes, Éd. du Cerf, Paris (1965) 1977, p. 33 (Egerton) et p. 39 (Jérôme).



فهرس المحتويات

منشورات:
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفيّة، بيروت ١١٠٠ ٢١٥٠ لبنان

صدرَ من سلسلة «دراسات في الكتاب المقدّس»

التوزيع:

المكتبة الشرقيّة ش.م.ل.
ص. ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

جمعيّات
الكتاب المقدّس في المشرق
ص. ب: ٧٤٧ - ١١ بيروت، لبنان